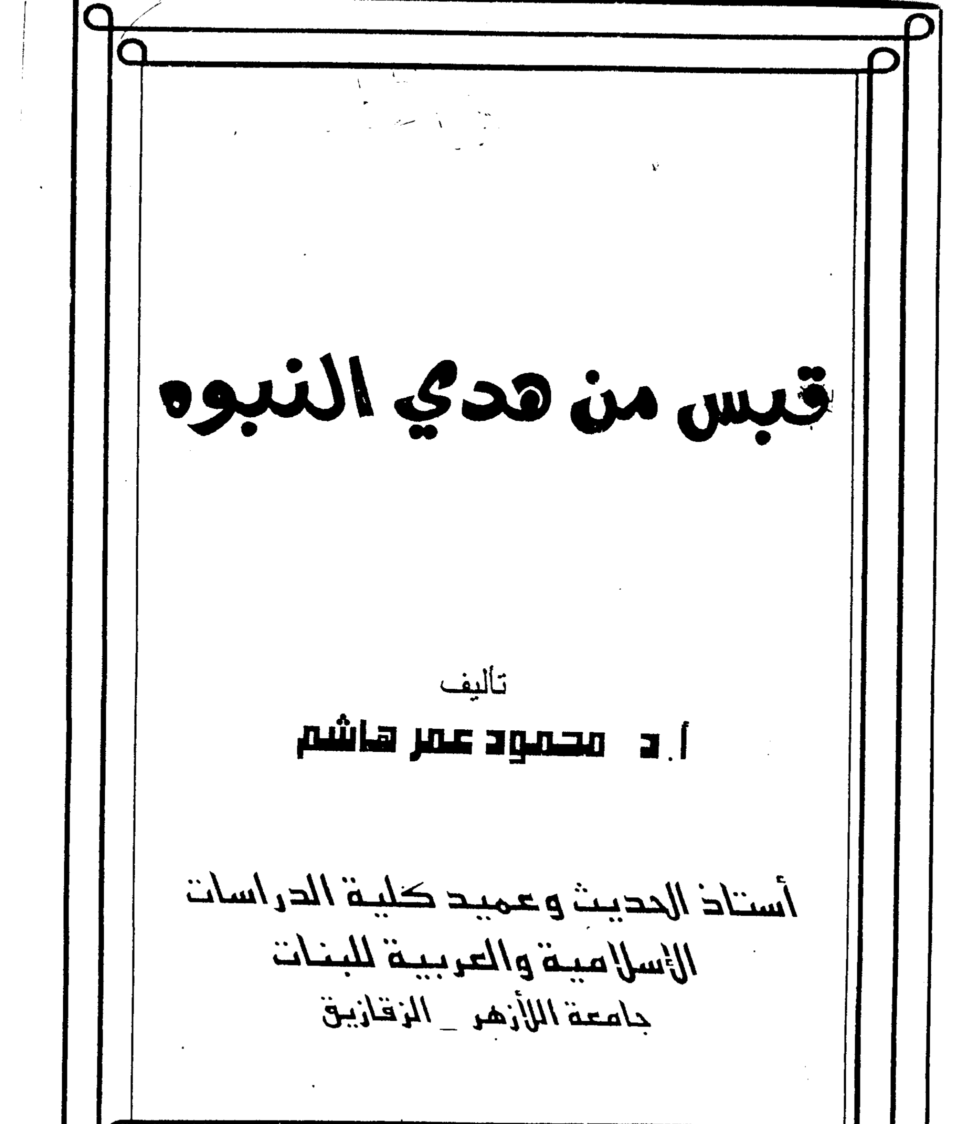


قبس من هدي النبوه

تأليف

أ.د محمود عمر هاشم

أستاذ الحديث وعميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر _ الزقازيق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين من بعده بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن للسنة النبوية الشريفة منزلتها فى الدين، ومكانتها فى الإسلام فهى أصل من أصول الدين، والمصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم وهى حجة فى إثبات الأحكام.

ولقد وضح الله تعالى أن رسوله ﷺ هو المبين لما أنزل من القرآن، فقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢]

ولما كان للسنة النبوية من مكانتها العظيمة فى الإسلام باعتبارها المصدر الثانى للتشريع، ولها منزلتها من القرآن فهى المفصلة لمجمله والمقيدة لمطلقه، والموضحة لمبهمه لما كان للسنة النبوية هذه المكانة فقد عنى بها الأئمة والعلماء من

---

[١] سورة النحل، آية٤٤.

[٢] سورة الحشر، آية٧.

لدن صدورها من الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى يومنا هذا لهذا فقد رأيت أن أتناول بالتحليل والاستنباط باقة من الأحاديث الشريفة فى الصلاة والزكاة والصوم حتى نقف على ما تمنحه السنة الشريفة من هداية وتوجيه للناس وسعادة فى ظل الإسلام، قال ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى".

والله أسأل أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

أ.د/ محمود عمر هاشم

عن عائشة رضى الله عنها : تَهَجَّد النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى فسمع صوت عَبّاد يصلى فى المسجد فقال : أصوت عباد هذا ؟ قلت نعم ، قال : اللهم أرحم عبادا .

للمنى

(عباد) هو ابن بشر الأنصارى الأشهلى الصحابى (أصوت عباد هذا) الهمزة للاستفهام .

وهذا الحديث وصله أبو يعلى من طريق محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة تهجد النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى ، وتهجد عباد بن بشر فى المسجد ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، فقال : ياعائشة هذا عباد بن بشر ؟ قلت : نعم فقال : اللهم أرحم عبادا. وقد روى البخارى حديثا قبل هذا الحديث ، عن عائشة رضى الله عنها قالت سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى المسجد ، فقال : رحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا .

ولهذه الرواية فقد زعم البعض أن الرجل الذى أبهم فيها هو الذى ذكر فى الحديث الذى معنا وهو « عباد » ولكن هذا ليس صحيحا وإنما هو عبد الله ابن يزيد الأنصارى ، فإن كان الوقت متحدا بالنسبة للرجلين ، فيحتمل أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سمع صوت رجلين ، فعرف أحدهما ، فقال :هذا صوت عباد ، ولم يعرف الآخر فسأل عنه ، والذى لم يعرفه هو الذى تذكر بقراءته الآيات .

وقد أورد الإمام البخارى رحمه الله هذا الحديث فى كتاب الشهادات ، وذلك من لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أصوت عباد هذا . . . الخ » .

وقد أخذ بعض العلماء من ذلك أنه يجوز الاعتماد على الصوت عند تحققه ، وإن لم ير الشخص ، فيجوز للأعمى الشهادة اعتماداً على ذلك . ومذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى عدم قبول شهادته إلا فى مواضع مخصوصة .

والحديث — بالإضافة إلى ما سبق — يبرز لنا ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الليل والتهجد ؛ لقول عائشة رضى الله عنها : تهجد النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، أى تشقق ، وفيما رواه البخارى ومسلم ، عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً على صلاة الليل ، وفيما رواه مسلم وأبو داود ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه — أى أسرعوا — فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

لهذا كله فقد وعى الصحابة الأجلاء رضوان الله تعالى عليهم سلوك نبيهم صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله فاقتدوا به استجابة لقول الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

والحديث الذى معنا يبرز موقفاً لواحد من هؤلاء الصحابة الأجلاء ، وهو عباد ، وما كان يقوم به من صلاة الليل والتهجد أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم صوته دعا له قائلا : اللهم ارحم عباداً ، وفى هذا بيان لرحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفقته بأصحابه .

الاستنباط

١ — فى الحديث جواز الاعتماد على الصوت عند تحققه وإن لم ير الشخص ، فيجوز للأعمى الشهادة اعتماداً على ذلك ، كما قال الشيخ الشرقاوى ، ومذهب الشافعية عدم قبولها إلا فى مواضع خاصة .

٢ — ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من العبادة وقيام الليل .

٣ — اقتداء الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم وكثرتهم فى العبادة .

٤ — رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفقته بأصحابه وبأمته لا سيما الذين يطيعون ربهم ويقتدون به فى عباداتهم .

التحذير من المدح المذموم

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : أثنى رجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ويلك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك مراراً ، ثم قال من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك منه .

اللغـــــة

(أثنى رجل على رجل) أي مدحه قيل : إن الذي أثنى محجن بن الأدرع ، والمثنى عليه عبد الله ذو البجادين (ويلك) منصوب بفعل محذوف تقديره : ألزمك الله ، (قطعت عنق صاحبك . .) استعارة شبه المبالغة في المدح بقطع العنق بآلة لاشتراكهما في الهلاك ثم اشتق من المصدر قطع ، (لا محالة) أي لا بد (أحسب) أظن (والله حسيبه) أي كافيه فعيل بمعنى فاعل (ولا أزكي على الله أحدا) أي لا أقطع له بشيء فإن الله وحده علام الغيوب (إن كان يعلم ذلك منه) وجواب الشرط تقديره : فلا يقطع بتزكيته .

البيان والتحليل

حذر الإسلام من مدح الانسان أخاه بما ليس فيه ، أو مدحه على سبيل القطع ، لأن المدح بما ليس في الإنسان كذب وضلال ، والمدح على سبيل القطع بأن يذكر من صفات المدح الباطنية ما لا يطلع عليها إلا الله فيكون قد ذكر أموراً لا يتأكد منها وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطريقة المثلى

فى ذلك فبين أن المدح إذا كان لا بد منه كمدح إنسان بصفات حميدة ظاهرة فيه ومحسوسة ويترتب إلى إبرازها أن يقتدى به غيره إذا كان المدح فى مثل ذلك فعلى المادح ألا يذكر ذلك على سبيل القطع بل عليه أن يذكره على طريق الظن فيقول : (أحسب فلانا والله حسيبه . .) .

أما المدح على سبيل القطع أو المبالغة فيه فإنه يترتب عليه من المفاسد والأضرار ما لا تحمد عقباه ، وتلك الأضرار منها ما يكون فى جانب المادح ، ومنها ما يكون فى جانب الشخص الممدوح .

أما ما يكون منها فى جانب المادح : فهو ما قد يتسرب إلى نفسه من الرياء وما يوقعه الإفراط فى المدح من المبالغة التى تؤدى إلى النفاق عن طريق الزيادة فى الكلام والكذب فى الحديث وتلك أولى علامات المنافق (إذا حدث كذب)

وأما ما يكون منها فى جانب الممدوح : فقد يترتب على المدح العجب والخيلاء وقد يقلل من أعمال الخير والصفات الحميدة التى فيه .

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى عدم الإطراء والمبالغة فى المدح حتى على نفسه — مع ما له من مكانة عند الله — فيما رواه رزين ، قال صلى الله عليه وسلم : (لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله) .

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بمطاردة الذين يتخذون مدح الناس عادة يستأكلون بها الممدوح : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو فى وجوه المداحين التراب) رواه الترمذى .

أما المدح الحسن على الفعل الحقيقى المحمود الذى يؤمن معه عدم الغرور فى جانب الممدوح وعدم النفاق فى جانب المادح ، بل يترتب عليه تحريض الناس على الخير والاقتداء بالفعال الحميدة فهذا محمود ولا يدخل فى التحذير المذكور .

الاستنباط

١ — التحذير من مدح الإنسان بما ليس فيه أو على سبيل القطع ، والطريقة المثلى فى ذلك - إن كان ولا بد من المدح - أن يقول : (أحسب فلانا . .) .

٢ — جواز الاقتصار فى التزكية على رجل واحد ، لكن مذهب الشافعية والمالكية وهو قول محمد بن الحسن اشتراط اثنين .

٣ — الإفراط فى المدح يؤدى إلى الهلاك والخسران ، فينبغى على المسلم أن يتحفظ من أسباب ذلك لأنها وسائل للنفاق والغرور .

الحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .

اللغة

(من كان حالفا فليحلف بالله) أي من أراد أن يحلف فليحلف باسم الله او صفة من صفاته « (أو ليصمت بضم الميم أو بكسرها من أصمت أي ليسكت ، والمعنى : فلا يحلف أصلا .

البيان والتحليل

لما كان الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به كانت حقيقة الحلف مختصة بالله سبحانه وتعالى ، فلا يضاهى به غيره ، وجاء التحذير من الحلف بغير الله ، وهذا الحديث حصر الحلف بالله وحده وإلا فلا يحلف الإنسان أبدا وهذا معنى قوله : أو ليسكت . والحلف بالمخلوق لا بسبق اللسان مكروه كالحلف بالنبي والكعبة وجبريل والصحابة

كما جاء التحذير من الحلف بالآباء أو الأمهات ، ففي الصحيحين وعند النسائي وصححه ابن حبان : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ، ولا تحلفوا إلا بالله » ، قال الإمام الشافعي : « أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية » ، وقوله هنا محمول على المبالغة في التنفير من ذلك فلو حلف به لم ينعقد يمينا . ومن اعتقد للحالف في المحلوف به ما يعتقد في الله كفر ، أما إذا سبق لسانه إليه بلا قصد فلا كراهة بل هو لغو عفو . ولكن كيف يتفق هذا الحديث مع ما ورد في الصحيحين

فى قصة الأعرابى الذى قال : لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال صلى الله عليه وسلم « أفلح وأبيه إن صدق » ؟

الجواب على هذا : هو أنه يمكن الجمع بينهما ولا تعارض ؛ لأن هذه الكلمة « وأبيه » كانت تجرى على اللسان ولا يقصد بها اليمين ، أو على حذف مضاف والتقدير : ورب أبيه وقيل : هو قبل النهى ولكن هذا الرأى الأخير ضعفه العلماء ، لأنه يحتاج إلى التاريخ والأصح الإجابتان الأوليان . فإن قيل : قد أقسم الله تعالى بعض من مخلوقاته كقوله : تعالى : « والصافات » ، « والنجم » ، « والليل » ، « والعصر » فالجواب على هذا : أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرف ما يقسم به . وفيما رواه مسلم قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل ينها كم أن تحلفوا بآبائكم » قال عمر « فو الله ماحلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ذاكرا ولا آثرا » ومعنى «ذاكرا» قائلا لها من قبل نفسى ، « ولا آثرا » أى حالفا عن غيرى . وهكذا يتأكد النهى عن الحلف بالآباء أو الأمهات ، أو سائر المخلوقات سوى الله تعالى .

وإذا كان الحلف بالله جائزا ، فإن إباحته وإطلاقه ليس على العموم بل إن الله تعالى نهى عن أن يجعل الناس اسم الله غرضا لكل حالف ، وذلك يصدق على أمرين :

الأول : النهى عن كثرة الحلف ولو على أمر صدق وخير كأن يحلف الحالف على كل خير أراد فعله فهذا مكروه ؛ لما فيه من ابتذال اسمه تعالى فى كل شىء يحلف عليه قليلا كان أو كثيرا ، عظيما كان أو حقيرا .

الثانى : النهى عن الحلف ولو مرة واحدة للامتناع من فعل الخير كأن يحلف ألا يفعل مافيه بر ومعروف بألا يصلى مثلا أو ألا يصلح بين متخاصمين .

وعلى من حلف على فعل شىء أو تركه وكان الحنث خيرا من التمادى على اليمين استحب له الحنث وتلزمه الكفارة . روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل » .

وفى النهى عن كثرة الحلف ولو على أمر صدق أو الحلف ولو مرة للامتناع من فعل الخير يقول الله تعالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم » وقد نزلت هذه الآية الكريمة فى عبد الله ابن الله بن رواحة كان بينه وبين بشير شىء فحلف عبد الله ألا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له فكان إذا قيل له فيه يقول : قد حلفت بالله أن لا أفعل فلا يحل لى أن لا أبر فى يمين فأنزل الله هذه الآية ، وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض فى حديث الإفك اه الفتوحات الإلهية .

أما مايسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو : لا والله وبلى والله فلا إثم فيه ولا كفارة وهذا مايسمى اللغو فى اليمين وهو مالا عقد معه ويسبق إليه اللسان من غير قصد ولا نية قال تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم » .

الاستنباط

١ — إباحة الحلف بالله تعالى وصفاته كلها ، وهذا مجمع عليه .

٢ — كراهية الحلف بغير اسماء الله وصفاته .

٣ — النهى عن الإكثار من الحلف . وأنه لا شىء فى لغو اليمين .

الإصلاح بين الناس

عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً .

اللغة

(أم كلثوم) بنت عقبة بن معيط أخت عثمان بن عفان لأمه « يصلح بين الناس » من الإصلاح وهذه الجملة في محل نصب خبر ليس « (فينمي خيراً) » بفتح الياء وسكون النون « يقال : نميت الحديث أنميه « إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير « أما بالتشديد فيكون على وجه النميمة والإفساد . والصلح لغة : قطع النزاع وشرعاً « عقد يحصل به ذلك ..

البيان والتحليل

إن من أهم قوانين الأخلاق في الإسلام الإصلاح بين الناس « قال تعالى .. « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » ..

والصلح أنواع .. فمنه ما يكون بين المسلمين والمشركين « ومنه ما يكون بين الإمام والبغاة ، ومنه ما يكون بين الزوجين عند الشقاق « ومنه ما يكون في المعاملة .

والحديث الذي معنا ينفي الإثم المترتب على الكذب إذا كان ذلك في الإصلاح بين الناس وليس المراد من الحديث نفي ذات الكذب « فإن الكذب

هو الكذب إذا خالف الواقع سواء كان للإصلاح أو غيره ، ولكن الإسلام رخص فى بعض الأوقات فى شىء مما يقال فيه كذب ، وذلك فى ثلاثة أمور الأول الحرب ، والثانى : الإصلاح بين الناس ، الثالث : حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها ، ويقاس على هذه الأمور ما يشبهها من كل مافيه مصلحة وإن تضمن إخبارا بخلاف الواقع ، بل قد يكون واجبا فى بعض الأوقات كما لو قصد رجل ظالم قتل رجل وهو مختف عنده فله أن ينفى وجوده عنده ويحلف على ذلك ولا يأثم .
ومنع بعض العلماء الكذب مطلقاً . وحمل ما ذكر هنا على سبيل التورية ، وقد مثل لذلك — فى فتح المبدى — كأن يقول للظالم دعوت لك أمس بمعنى (اللهم اغفر للمسلمين) ويعد امرأته بعطية ويريد إن قدر الله .

قال المهلب: وإنما أطلق عليه الصلاة والسلام للمصلح بين الناس أن يقول ماعلم من الخير بين الفريقين ويسكت عما سمع من الشر بينهم لا أنه يخبر عن شىء على خلاف ما هو عليه ا هوالذى نميل اليه هو الرأى الأول وهو الترخيص فى الكذب فى مثل الأحوال السابقة مما فيه مصلحة .

الاستنباط

١ — دعوة الإسلام إلى الاصلاح بين الناس .

٢ — جواز الكذب للضرورة فى بعض الأحوال التى تتضمن مصلحة كالإصلاح والحرب وحديث الزوجين . وأن ذلك مشروط بأن يقول خيرا .

القضاء بكتاب الله

عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما أنهما قالا : إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله ، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه : نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ، قال : إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته ، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن ما على ابني مائة جلدة وتغريب عام ما وأن على امرأة هذا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، أغد يا أنيس إلى إمرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، قال : فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت .

اللغة

(أنشدك الله) بفتح الهمزة : أي أسألك بالله والسؤال هنا بمعنى القسم كأنه قال : أقسمت عليك بالله أو ذكرتك الله وعلى هذا يكون قد ضمن (أنشدك) معنى أذكرك الله وحينئذ فلا حاجه لتقدير حرف جر فيه . (أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله) أي لا أطلب إلا قضاءك لي بحكم الله (فقال الخصم) والخصم : مصدر خصمه إذا نازعه وغلبه ثم أطلق على المخاصم وقد يطلق على الواحد والأكثر والذكر والمؤنث وقد يثنى ويجمع . (فاتض بيننا . .) الفاء واقعة في جواب شرط محذوف والتقدير — والله أعلم — إذا كان الأمر كذلك فاقض بيننا . . (العسيف) الأجير و (الوليدة) : الجارية .

البيان والتحليل

فى هذا الحديث يروى لنا أبو هريرة وزيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه موقف رجل من الأعراب لم يرد ذكر اسمه ، أتى هذا الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يقضى له بحكم الله : فقال الخصم الآخر – وهو أفقه منه – نعم فاقض بيننا بكتاب الله . . وليس فى طلبهما الحكم بكتاب الله من الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوهم أنه قد يحكم بغيره فإنهما يعلمان أن حكمه لا يكون إلا بكتاب الله وإلا بالحق ولكنهما أرادا أن يحكم بالحق الصرف لا بالمصالحة ، فإن الحاكم أن يحكم بين الخصمين على طريقة للصالحة والأخذ بالأرفق إذا رضى الخصمان وهو أيضا حكم الله ، ولكنهما أرادا تنفيذ القانون الإلهى المشروع دون مصالحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ، قال : إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته . . وفى قوله كان عسيفا أى أجيراً ، ما يوضح لنا السبب فى وقوعه فى المعصية وهو طول الملازمة وخلوته بها ، وفى هذا ما يبين لنا خطورة التساهل فى هذه الأمور ؛ فإن الرجل أراد أن يذكر أن ابنه لم يكن من عادته الفجور — وهو وإن كان سببا لا يعذر فيه — إلا أنه يكشف عما ينطوى عليه التهاون من الوقوع فى الحرام ، وهذا بيان صريح المتساهلين فى أعمالهم ، ومن يزعمون فى نسائهم الطهر ، وفى أصدقائهم وعملائهم العفاف ، كيف والشيطان لهم قرين وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما ، وأكم تعج كثير من المجتمعات برذائل كثيرة ومعاص لا حد لها من جراء هذا التهاون .

ثم عاد الرجل فقال : وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم — وكان هذا ممن لا علم عندهم — فافتديت ابنى منه بمائة شاة — أى من الغنم ، ووليدة : أى جارية ، ثم سألت أهل العلم ، والمراد بهم الصحابة الذين كانوا يفتون فى العهد

النبوى كالخلفاء الأربعة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وزاد بن سعد فى الطبقات . عبد الرحمن بن عوف ، فأخبروه أن الذى على ولده هو جلد مائة وتغريب عام من البلد الذى وقع فيه الزنا إلى مسافة القصر فأكثر وأن على المرأة الرجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله . الخ الحديث وإنما أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقضى بينهما بكتاب الله دون أن يطلب أحد منه القسم ومع أنه لا يظن فيه غير ذلك ، لأنه أراد أن يطمئن الخصمين وأن يجاريهما فيما يريدانه عندما طلبا منه ذلك وهذا من مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم وعظيم رفقه . وحكم لهما بقوله : الوليدة والغنم رد عليك ، أى مردودة ، وعلى ابنك جلد مائة ، وتغريب عام ، ثم أمر أنيسا وقال له : أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها ، لأنها كانت محصنة ، فغدا عليها أنيس فاعترفت بالزنا فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت . قال الشيخ الشرقاوى رحمه الله : يحتمل أن يكون هذا الأمر هو الذى فى قوله : فإن اعترفت فارجمها وأن يكون ذكر له أنها اعترفت فأمر له ثانياً أن يرجمها لكنه يقتضى أن أنيسا إنما كان رسولا ليسمع إقرارها وأن تنفيذ الحكم كان منه عليه الصلاة والسلام ويشكل على هذا كونه اكتفى فى ذلك بشاهد واحد وأجيب بأنه ليس فى الحديث نص على انفراده بالشهادة فيحتمل أن غيره شهد عليها أيضا وفى رواية فاعترفت فرجمها وهى ترجح الاحتمال الأول وتدل على أن أنيسا كان حاكما لا شاهداً وبعث أنيس كما قاله النووى محمول عند العلماء وعلى إعلام المرأة بأن هذا الرجل قذفها بابنه فلها عليه حد القذف فتطالبه به أو تعفو عنه إلا أن تعترف بالزنا فلا يجب عليه حد القذف بل عليها حد الزنا وهو الرجم قال : ولا بد من هذا التأويل لأن ظاهره أنه بعث ليطلب إقامة حد الزنا وهذا غير مراد لأن حد الزنا لا يحتاط له بالتجسس بل لو أقر الزانى استحب أن يعرض له بالرجوع وإنما خص عليه

الصلاة والسلام أنيسا بهذا الحكم ، لأنه من قبيلة المرأة وقد كانوا ينفرون من حكم غيرهم فيهم اهـ فتح الباري.

وهذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي حاول بعض الناس قديما وحديثا — أن يثيروا حولها الشبه ظنا منهم أنه يتعارض مع القرآن ، وقد دافع عنه ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) وأبان وجه الحق ، ونحن نورد هنا رأيه مع توضيح جانب الحقيقة والإدلاء برأينا في ذلك.

يقول ابن قتيبة . قالوا رويتم عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيدالله ابن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة وزيد بن خالد وشبل أن رجلا قام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال . يا رسول الله نشدتك بالله إلا قضيت بيننا بكتاب الله تعالى ، فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : صدق أقض بيننا بكتاب الله وأذن لي ، فقال : قل : قال إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بإمرأته فافتديت منه بمائة شاه وخادم ، ثم سألت رجالا من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم ، فقال والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله المائة شاه والخادم رد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم ، وأغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها [1] .

وقال أبو محمد : هكذا حدثنيه محمد بن عبيد عن ابن عيينة ، قالوا : وهذا خلاف كتاب الله عز وجل لأنه سأله أن يقضي بينهما بكتاب الله تعالى ، فقال له : والذي نفس بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ثم قضى بالرجم والتغريب ، وليس للرجم والتغريب ذكر في كتاب الله تعالى ، وليس يخلوا هذا الحديث من أن يكون باطلا أو يكون حقا وقد نقص من كتاب الله ذكر الرجم والتغريب .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص ١١٢ ، فتح الباري ج ١٢ ص ١١١ ط المطبعه الخيريه ، الموطأ ص ٢٤٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلاميه .

قال أبو محمد : ونحن نقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد بقوله : لأقضين بينكما بكتاب ههنا القرآن ، وإنما أراد لأقضين بينكما بحكم الله تعالى والكتاب يتصرف على وجوه منها : الحكم والفرض كقول الله عز وجل : (كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم) [١] . أى فرضه عليكم وقال (كتب عليكم القصاص) [٢] . أى فرض عليكم ، وقال (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال) [٣] . أى فرضت وقال تعالى : (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) [٤] . أى حكمنا وفرضنا وقال النابغة الجعدى :

ومال الولاء بالبـــلاء فملتم وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

أراد مالت القرابة بأحسابنا إليكم وما ذاك أوجب الله إذ هو يحكم) أ هـ .

وهكذا نرى ابن قتيبة رحمه الله قد أجاب حسب ما بداله ، ولكن هناك أجوبة أخرى نرى من الأهمية إيرادها :

(١) قيل إن المراد « بكتاب الله » القرآن الكريم .

(٢) وقيل يحتمل أن يكون المراد ما تضمنه قوله تعالى : « أو يجعل الله لهن سبيلا [٥] . فبين النبى صلى الله عليه وسلم أن السبيل جلد البكر ونفيه ورجم الثيب .

(٣) وقيل يحتمل أن المراد بكتاب الله الآية التى نسخت تلاوتها وهى : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

وفى الموطأ عن يحى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : لما صدر عمر من الحج وقدم المدينة خطب الناس فقال : أيها الناس قد سننت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة ثم قال : إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن

---

(١) سورة النساء آيه [٢٤] (٢) سورة البقرة ايه [١٧٨]
(٣) سورة النساء ايه [٧٧] (٤) سورة المائدة ايه [٤٥]
(٥) سورة النساء [١٥] .

يقول قائل : لانجد حدين فى كتاب الله فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا ، والذى نفسى بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البته) [1] ، قال مالك: الشيخ والشيخة الثيب ، ووقع فى الحلية فى ترجمة داود بن أبى هند عن المسيب عن عمر (لكتبتها فى آخر القرآن) . وهذه العبارة الأخيرة تحدد لنا أن سيدنا عمر رضى الله عنه لم يكن ليكتبها إن شاء حسبما اتفق ، وانما فى آخر القرآن ،وذلك محافظة على الترتيب القرآنى ، وليعلم الناس حكمها .

وكذلك عبارته (لو لا ان يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله) وليس المراد خشيته من مقالة الناس فيه ، وإنما مراده أن يلتبس على الناس الأمر لو كتبها فلا يحسبون أنها منسوخة التلاوة .

وقد أخرج النسائى ذلك وصححه الحاكم من حديث أبى بن كعب ، قال (ولقد كان فيها - أى سورة الأحزاب - آية الرجم .. وأرى أن احتمال كون المراد بكتاب الله الآية المنسوخة تلاوتها لا يفى بالمراد إذ أن الآية التى نسخت تلاوتها لم يرد فيها إلا حكم الرجم فقط ، أما التغريب فلم يذكر حكمه فيها .

(٤) وقيل المراد بكتاب الله مافيه من النهى عن أكل المال بالباطل ، لأن خصمه كان قد أخذ منه الغنم والخادم بغير حق ، فلذلك قال : (المائة شاة والخادم رد عليك [2] .

والذى أرجحه هو أن المراد بكتاب الله فى الحديث هو حكم الله تعالى الذى حكم به وكتبه على عباده كما رأى ابن قتيبه وذلك لما ورد فى رواية عمر ابن شعيب (لأقضين بينكما بالحق) ، وكل شىء حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو حكم الله تعالى فهو المبلغ عن الله ، والمبين لأحكامه ، وقد [illegible]

---

(١) الموطأ ص ٣٤٠ (٢) فتح البارى حـ [illegible] ص [illegible] ط الخيريه

طاعته وقبول قوله ، قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه » . قال ابن القيم : « إن الله سبحانه نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم منصب المبلغ المبين عنه فكل ماشرعه للامة فهو بيان منه عن الله أن هذا شرعه ودينه ولا فرق بين مايبلغه عنه من كلامه المتلو ومن وحيه الذى هو نظير كلامه فى وجوب الاتباع ومخالفة هذا»[1]

الاستنبـاط

١ ـ الرجوع فى الأحكام إلى كتاب الله تعالى بما ورد فيه من نصوص أو بطريق الاستنباط ، وإلى السنة النبوية الشريفة فهى المصدر الثانى فى التشريع الإسلامى .

٢ ـ جواز الحلف بغير استحلاف ، وجواز القسم على الأمور لتأكيدها .

٣ ـ إذا تم إصلاح بين الناس على غير ماجاء فى الشريعة فإنه يرد ولا يتم أخذ المال عن طريقه .

٤ ـ وقال عياض . احتج قوم بجواز حكم الحاكم فى الحدود وغيرها بما أقر به الخصم عنده .

---

(١) اعلام الموقعين جـ٢ ص٢٣٨ ط المنيريه .

ثواب المجاهد

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة » .

اللغة

((وتوكل الله)) أي تكفل الله تعالى على وجه الفضل .

((بأن يتوفاه أن يدخله الجنة)) أي يتوفاه بدخوله الجنة في الحال بغير حساب ولا عقاب .

((سالماً)) منصوب على أنه حال ، والمعنى : سالماً مع أجر وحده أو غنيمة مع أجر ، وحذف الأجر من الثاني لعلم به ، أو لأنه يكون أقل بالنسبة إلى الأجر بدون غنيمة .

البيان والتحليل

يتضح الإخلاص في الجهاد بأنه في سبيل الله وحده ، فهو بعيد عن أى مقصد آخر مما يقصده أعداء الإسلام ، ودول الاستعمار ، وأهل السلب والنهب ، قال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله » وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء المجاهد في سبيل الله ، وقد صور الحديث ما للجهاد من فضل عظيم ، حيث كان مثله مثل من لا يفتر من صلاته وصيامه وقيامه في حالة من الحالات ، ومثل هذا العمل لا يتأتى لأحد ،

وإنما اختصر الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة والصيام؛ لأنهما أهم الأركان؛ فالصلاة عماد الدين، والصيام تكفل الله بثوابه، بل إنه شبه حال المجاهد بحال المصلي القائم الصائم الذي لا يفتر عن ذلك وهي صورة تدعو إلى مستحيل، كما جاء في رواية أخرى: «... لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى». وفي قوله: «والله أعلم بمن يجاهد في سبيله» أي أعلم بمن تكون نيته إن كانت خالصة لإعلاء كلمة الله فذلك المجاهد في سبيله، وأما إن كانت نيته تتعلق بحب المال أو الدنيا أو اكتساب الذكر فقد أشرك مع سبيل الله، قال في فتح الباري: وليس المراد ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر، فقد روى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا: ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم، فهذا صريح في بقاء بعض الأجر مع حصول الغنيمة، فتكون الغنيمة في مقابلة جزء من ثواب الغزو.

الاستنباط

١ – عظم ثواب المجاهد المخلص في سبيل الله، وأن هذا الثواب مستمر في مضاعفة الأجر.

٢ – ما تكفل الله تعالى به للمجاهدين من مثوبة وفضل.

٣ – أهمية الإخلاص وأنه شرط في الثواب المتقدم.

الغدو والرواح فى سبيل الله

عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .

اللغـــة

(الغدوة) مبتدأ وهى مخصصة بالصفة التى بعدها : فى سبيل الله ، واللام للتأكيد ، وقيل للقسم ، والغدو : الذهاب أول النهار .

(أو روحة) أو : للتقسيم ، والمعنى لخرجة واحدة فى الجهاد من أول النهار أو آخره .

البيان والتحليل

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم ثواب هذه الفترة الزمنية اليسيرة من الجهاد ، وأنه خير من الدنيا وما فيهـا بكل ما اشتملت عليه ؛ لأن مغريات الحياة لا استمرار لها ولا بقاء ، أما ثواب الجهاد فله من الثواب الموصول الذى يضاعفه الله تعالى مالا يحصى .

ومما يستدل به على استمرار هـذا الأجر قول الله تعالى : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

ثم إن مثوبة الجهاد فى الجنة لا يعادلها شىء ما فى الدنيا مهما عظم فى أعين

النفس »، أي لا تعادلها الدنيا كلها »، وفي الحديث: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب» أي ما صغر من الجنة من المواضع كلها ببساتينها وأرضها »، فالتعبير أن تصغير الزمان وصغير المكان في الجنة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا تزهيداً وتصغيراً لها، وترغيباً في الجهاد

وتقييد الحديث بقوله في سبيل الله يخرج ما لو كان ذلك في سبيل الغنيمة، أو الشهرة بين الناس، أو ليقال عنه شجاع، فمثل ذلك ليس في سبيل الله، ولكن المجاهد في سبيل الله هو الذي يجاهد فيه المسلم لتكون كلمة الله هي العليا، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

الاستنباط

١ — مكانة المجاهد عند الله تعالى وما له من ثواب عظيم.

٢ — تقديم الجهاد على كل عمل من أعمال الخير لأن ثوابه لا تعدله الدنيا.

٣ — الجهاد المقصود هو المقيد بكونه في سبيل الله تعالى.

ابن عمر بين أحد والخندق

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى ، ثم عرضنى يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى .

اللغـــــة

(عرضه يوم أحد) و « أحد » هو الجبل المعروف بالمدينة ، وسمى بهذا الاسم لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هنالك ، وغزوة أحد كانت فى شوال سنة ثلاث .

(فلم يجزنى) فيه إلتفات أو تجريد ؛ إذ أن السياق يقتضى أن يقول : « فلم يجزه » ولكنه التفت أو جرد من نفسه شخصا ، وفى رواية « فاستصغرنى » والمعنى : أنه لم يثبته فى ديوان المقاتلين .

البيان والتحليل

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتسابقون إلى ميدان الجهاد فى سبيل الله ويسارعون إلى الالتفاف حول رسولهم صلى الله عليه وسلم ، فى حربه وسلمه ، وحله وترحاله ، ولم يقتصر أمر هذا التسابق على الكبار منهم فحسب ، بل كان شبابهم وفتيانهم يتسابقون إلى صفوف الجهاد فى سبيل الله ، وهذا يعطينا صورة مشرقة لما كان عليه شباب الأمة الإسلامية فى الصدر الأول ، وتبين حبهم للجهاد فى سبيل الله ، وتفانيهم عن عقيدتهم ، وحمايتهم لدينهم ووطنهم الإسلامى .

والحديث الذى معنا يطلعنا على نموذج من هؤلاء الأبطال المتسابقين وهو

عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ، حيث جاء وهو ابن أربع عشرة سنة يوم أحد ، حيث استصغره ولم يكن ابن عمر الوحيد الذى تسابق ورده الرسول صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ، بل إنه قد رد — كما قال ابن هشام — أسامة بن زيد وزيد بن ثابت أحد بنى مالك بن النجار ، والبراء بن عازب أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حزم أحد بنى النجار ، وأسيد بن ظهير أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وقد أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمر فى غزوة الخندق سنة خمس فى شوال .

وإذا كان ابن عمر فى أحد ابن أربع عشرة سنة ، وغزوة أحد كانت فى شوال سنة ثلاث ، وغزوة الخندق كانت فى سنة خمس من الهجرة ، فمعنى ذلك أن ابن عمر كان فى غزوة الخندق ابن ست عشرة سنة ؟ ويجاب على هذا : بأنه كان فى غزوة أحد قد دخل فى أربع عشرة ، وأما قوله : ثم عرضنى يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فالمعنى : أنه تجاوزها ، وعلى ذلك يكون قد ألغى الكسر فى الأول ، وجبره فى الثانية .

وإذا كان هذا المقدار من العمر قد أجاز فيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للجهاد ، فإن العلماء قد استدلوا بذلك على أن من استكمل خمس عشرة سنة قمرية تحديدية يكون بالغا بالسن فتجرى عليه أحكام البالغين وإن لم يحتلم فيكلف بالعبادات ، وإقامة الحدود ، ويستحق سهم الغنيمة ، وغير ذلك من الأحكام . وقال المالكية ببلوغه ثمان عشرة ، وبه قال أبو حنيفة ؛ لقوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » ، وقد فسره ابن عباس بثمانى عشرة سنة ، والجارية سبع عشرة سنة ؛ لأن نشوء البنات وبلوغهن أسرع فنقص عن ذلك سنة .

وقال أبو يوسف ومحمد : بخمس عشرة فى الغلام والجارية ، وقد قال بعض

الحنفية وعلى ذلك الفتوى ؛ لأن العادة جارية على أن البلوغ لا يتأخر عن هذه المدة .

ومما يرجح سن البلوغ والتكليف بخمس عشرة ما أخرجه أبو عوانة وابن حبان في صحيحهما وعبد الرزاق من وجه آخر عن ابن جريج أخبرني نافع بلفظ: عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ولم يرني بلغت وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ورآني بلغت قال الحافظ ابن حجر : وهذه زيادة صحيحة لا يطعن فيها

الاستنباط

١ - منزلة ابن عمر رضي الله عنهما وفضله وتسابقه للخير والجهاد .

٢ - من استكمل خمس عشرة سنة كان بالغا بالسن فتجرى عليه أحكام البالغين .

٣ - معرفة الرسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ورفقه بهم ، ودقته في تنظيم المجاهدين في سبيل الله .

الرفق بالغريم

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عاليه أصواتهم ، وإذا أحدهما يستوضع الآخر ويسترفقه فى شىء ، وهو يقول : والله لا أفعل فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ؟ فقال : أنا يارسول الله ، فله أى ذلك أحب

اللغة

(سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما) الخصوم جمع خصم ، وفى رواية : « أصواتهما » وكأنه جمع باعتبار من حضر الخصومة وجمع ، وثنى باعتبار الخصمين ، أو كأن التخاصم من الجانبين بين جماعة فجمع ثم ثنى باعتبار جنس الجمع .

(عالية) بالجر صفة لخصوم ، وبالنصب على الحال مصححها كون نكرة إلا أنه خصص بالوصف .

(. يستوضع الآخر) اى يطلب منه أن يضع شيئا من دينه (ويسترفقه) أى يطلب منه الرفق به . (المتألى) : الحالف الذى يبالغ فى يمينه (فله أى ذلك أحب) أى من الوضع أو الرفق ، « أى » بالنصب على المفعولية أو بالرفع على تقدير : أى الأمرين أحب فهو له .

البيان والتحليل

لقد جاء بيان ماطلبه أحد الخصوم ، من الرفق فيه أو وضعه عنه فى رواية ابن

حاتق ؛ دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني ابتعت أنا وابني من فلان تمراً فأحصيناه لا والذي بعثك بالحق ما أحصينا منه إلا ما نأكله في بطوننا أو نطعمه مسكيناً ، وجئنا نستوضعه ما نقصنا ... الحديث وقال الحافظ ابن حجر : ولم أقف على تسمية واحد منهم . وهذا الحديث يشير إلى استحباب الرفق بالغريم ، والإحسان إليه ، كما أنه أيضاً يحذر من الحلف على ترك فعل الخير قال الداودي : إنما كره ذلك ؛ لكونه حلف على ترك أمر عسى أن يكون قدر الله وقوعه .

ولكن لنا أن نتساءل : إذا كان الحديث الذي معنا قد أنكر الحلف على ترك المعروف ، فلم لم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم على الأعرابي الذي حلف على ترك الزيادة على فرائض الإسلام حين قال : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق ، ولم ينكر عليه حلفه مع أنه حلف على ترك الزيادة وهي لا شك من فعل المعروف والخير ؟

والإجابة على ذلك ، نقول : إن هذا الأعرابي يختلف حاله عن حال الخصوم الذين معنا ، فهؤلاء الخصوم قد تمكنوا في الإسلام ، ورسخت أقدامهم على طريقه فليسوا في حاجة إلى استمالة أو تأليف بخلاف هذا الأعرابي فإنه كان في حال تستدعي الاستمالة والتأليف والترغيب في مبادئ الإسلام وعباداته ، فالمقام بالنسبة له مقام الدعوة إلى الإسلام ومثل هذا المقام لا بد فيه من الحرص على ترك التعرض [illegible] لما فيه نوع مشقة .

وهذا [illegible] يحث على الرفق [illegible] بصورة تجمع بين حسن المعاملة ورقة [illegible] [illegible] أنه إنما يحث على عدم فعل المعروف [illegible] إن الثناء على الله [illegible] [illegible] الرفق به معروف ، وصنائع [illegible] وقد [illegible] وفيما رواه مسلم عن ربعي [illegible] حذيفة حدثهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلقت

الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال : لا ، قالوا : تذكر قال : كنت أداين الناس فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر ، قال : قال الله عز وجل : تجوزوا عنه وفى رواية : كنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور ، ومعنى التجاوز : المسامحة فى الاقتضاء والاستيفاء ، وقبول مافيه نقص يسير . وفيما رواه مسلم أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان رجل يداين فكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه .

الاستنبـــــاط

١ — دعوة الاسلام إلى التعاون فى المعاملات وحسن الاقتضاء والاحسان إلى الغريم والرفق به .

٢ — الصفح عما يجرى بين المتخاصمين ورفع الصوت عند الحاكم .

٣ — جواز سؤال المدين من صاحب الدين أن يتجاوز عنه أو ينظره خلافاً لمن كرهه من المالكية .

ماتركه الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته

عن عمرو بن الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي جويرية بنت الحارث قال : ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمه ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة .

اللغــة

(عن عمرو بن الحرث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمرو بن الحرث بن أبي ضرار الخزاعي المصطلقي أخو جويرية أم المؤمنين ، وختن بالجر صفة لعمرو أو عطف بيان أو بدل، وهو من كان قبل المرأة كالأب والأخ .

(... ولا شيئا) من عطف العام على الخاص ، وفي نسخة : ولا شاة وزاد ... : ولا بعيرا ولا أوصى بشيء

المعنى والتحليل

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد آثر الحياة الباقية التي اختارها الله له « وللآخرة خير لك من الأولى » ولهذا فإنه لم يحرص من الدنيا على شيء ، فالدنيا بما فيها إلى زوال والباقيات الصالحات خير ، كما قال الله تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » وفي هذا الحديث يخبر عمرو بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماترك عند موته درهما ولا ديناراً ولا عبدا ولا أمة

أى فى الرق ولا شيئاً وهو أعم إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة .
وقد ذكر الإمام البخارى هذا الحديث فى الوصية ، لأن الصدقة المذكورة يحتمل أن تكون قبله ، ويحتمل أن تكون موصى بها فتطابق الترجمة .

قال الحافظ ابن حجر : ويظهر أن المطابقة تحصل على الاحتمالين ، لأنه تصدق بمنفعة الأرض فصار حكمها حكم الوقف ، وهو فى هذه الصورة فى معنى الوصية لأنها بعد الموت .

وقال ابن التين فيما نقله العينى : هى « فَدَك » ـ وهى بلدة بينها وبين المدينة يومان وبين خيبر دون مرحلة ـ والتى بخيبر إنما تصدق بها فى صحته وأخبر بالحكم عند وفاته ، وإليه أشارت عائشة بقولها فى حديثها الذى رواه مسلم وغيره المذكور « ولا أوصى بشىء » .

وقال الكرمانى : الضمير فى قوله « جعلها » راجع إلى الثلاثة ، أى البغلة والسلاح والأرض لا إلى الأرض فقط ، والتصدق بما ذكر حكمه حكم الوقف ، وهو فى معنى الوصية .

ولنا فى رسولنا الأسوة الحسنة ، فلا ينبغى التكالب على الحياة وجمعها بالصورة المزرية التى يتقاتل عليها الناس ، فإن الله عنده حسن المآب ، قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحيـاة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من فتنة الحياة كثيراً ، عن عمرو بن عوف الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين يأتى بجزْيَتِهَا ، فَقَدِمَ بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافَوْا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرّضوا له

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ، ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟ فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : أبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تُبْسَط الدنيا عليكم كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » متفق عليه .

الاستنباط

١ — استحباب الوصية قبل الموت .

٢ — التحذير من فتنة الحياة وزهرتها .

٣ — ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزهد وحب الآخرة .

أفضل الصدقة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أى الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح حريص، تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان .

اللغــة

(أن تصدق وأنت صحيح حريص) بتخفيف الصاد على حذف إحدى التاءين وأصله : أن تتصدق ، وبالتشديد على إدغامها ، والجملة فى محل رفع خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : أفضلها أن تصدق ، وأنت صحيح حريص هذه الجملة فى محل نصب حال .

(تأمل الغنى وتخشى الفقر) بضم الميم أى تطمع فيه والجملة أيضا فى محـل نصب حال .

(ولا تمهل) بالسكون على أن « لا » ناهية أو بالرفع على أنها نافية .

(حتى إذا بلغت الحلقوم) أى قاربت الروح مجـرى النفس ، وهذا عند الغرغرة .

(قلت لفلان كذا ولفلان كذا) مرتين كناية عن الموصى له والموصى به

(وقد كان لفلان) أى صار المـال للوارث فيبطله إن شاء إذا كان زائدا على الثلث .

البيـان والتحليـل

كان المسلمون حريصين على اتباع المنهج القويم فى حياتهم ، والطريقة المثلى فيما يتقربون به إلى الله تعالى من وجوه البر وصنائع المعروف ويستفسرون من رسولهم صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك كله ، فيجيبهم بما فيه مصلحة دينهم ودنياهم ، وما فيه زيادة فى الثواب والأجر ، وفى هذا الحديث اتجه أحد المسلمين سائلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الصدقة ؟ فأجابه بأن أفضلها أن يتصدق المسلم وهو صحيح حريص .

وفى رواية الإمام مسلم : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح » والشح أعم من البخل وكأن الشح — كما قال الخطابى — جنس والبخل نوع ، وأكثر مايقال البخل فى أفراد الأمور والشح عام كالوصف اللازم وما هو من قبل الطبع ، وإنما كانت الصدقة عند غلبة الحرص وفى حال الصحة أفضل ؛ لأن الشح حينئذ يكون غالبا والصدقة فى هذه الحال دليل على صدق نية صاحبها ، وإخلاصه فيها كما فى الحديث : « والصدقة برهان » وهذا بخلاف من أشرف على الموت وأيس من الحياة ، فإن صدقته تكون ناقصة بالنسبة لحاله وهو صحيح ، وقد نبه القرآن الكريم إلى مراعاة ذلك ، وأن على المسلم أن يسارع إلى فعل الخيرات قبل أن يأتيه يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، وحينئذ يندم ولا يجدى الندم ، قال تعالى : « وأنفقوا مما رزقنا كم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها » . وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بقوله : وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتخشى الفقر ؛ لأن الإنسان فى حال صحته وتمام قوته ، يكون من الصعب عليه أن يخرج ماله ، كما هو الغالب عند كثير من الناس ، فإن الشيطان حينئذ يزين له الحياة وإمكان طول العمر وأنه قد يحتاج إلى هذا المال ، كما قال الله تعالى :

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » .

وبهذا يتبين لنا كيف تنشأ دوافع السوء والتكالب على الحياة والبخل بالمال ، إنه من الشيطان الذى يثير فى النفس الخوف من الفقر ، والأمل الطويل فى الحياة .

وأيضا فربما زين الشيطان الظلم فى الوصية ، أو الرجوع عنها ، وما أجمل تعبير بعض السلف عن هذا النمط من الناس الذين يبخلون بأموالهم حال صحتهم وهى فى أيديهم ، فإذا ما أشرفوا على الموت أسرفوا فيها . يقول بعض السلف : يعصون الله فى أموالهم مرتين يبخلون بها وهى فى أيديهم - أى فى الحياة - ويسرفون فيها إذا خرجت عن أيديهم ، أى بعد الموت ، وأخرج الترمذى بإسناد حسن وصححه ابن حبان عن أبى الدرداء مرفوعا قال : مثل الذى يعتق ويتصدق عند موته مثل الذى يهدى إذا شبع ، وروى أبو داود وصححه ابن حبان من حديث أبى سعيد مرفوعا : « لأن يتصدق الرجل فى حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة » .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « فلان كذا .. الخ » قال الخطابى : فلان الأول والثانى الموصى له وفلان الأخير الوارث لأنه إن شاء أبطله وإن شاء أجازه . وقال غيره : يحتمل أن يكون المراد بالجمع من يوصى له ، وإنما أدخل كان فى الثالث إشارة إلى تقدير القدر له بذلك ، وقال الكرمانى : يحتمل أن يكون الأول الوارث والثانى الموروث والثالث الموصى له . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون بعضها وصية وبعضها إرثا .

[illegible] الآراء العلمية السابقة يمكننا أن نقف على [illegible] وقت الكلام [illegible]

[illegible]

الاستنباط

١ — فضل الصدقة فى حال الصحة ، وأنها أكثر ثوابا منها فى حال المرض وعند نهاية الحياة .

٢ — على المسلم أن ينجز ما عليه من حق دينا كان أو زكاة أو صدقة وأن يسرع بالأداء فلا يعلم الأجل إلا الله .

٣ — النهى عن تأخير الزكاة أو الصدقة أو أعمال الخير .

السبع الموبقات

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هنّ ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » .

اللغـــة

(الموبقات) المهلكات ، يقال : وبَق بفتح الباء يبِق بكسرها ، و « وُبق » بضم الواو ، يوبَق إذا هلك ، وأوبق غيره : بمعنى أهلكه .

(الشرك بالله) بأن يتخذ معه إلهاً آخر .

(والسحر) هو صرف الشيء عن وجهه .

(وقتل النفس التي حرم الله) أي حرم قتلها .

(وأكل الربا) وهو الزيادة ، وذلك باسترداد الدين ومعه زيادة .

(وأكل مال اليتيم) وهو من مات أبوه وهو دون البلوغ .

(والتولي يوم الزحف) وهو الفرار عن القتال عند التقاء الطائفتين وازدحامهما .

(وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) والمحصَنات ، بفتح الصاد : اسم مفعول ، أي التي أحصنهن الله وحفظهن عن الزنا ، والمراد بهن العفائف ، والمراد بالغافلات : الغافلات عن الفواحش وما قذفن به .

البيان والتحليل

يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الذنوب الكبائر المهلكة والتصريح بعدد معين بالنسبة الموبقات والكبائر لا ينافى أن يكون هناك أكثر منها فى غير هذا الحديث كالزنا بحليلة الجار ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس وغير ذلك ، وقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن الكبائر أسبع هى ؟ فقال : هى إلى سبعين ، ويروى إلى سبعمائة أقرب ، وأما التحديد بالسبع فى الحديث فالمراد به : من الكبائر سبع .

ولكن لماذا : اقتصر على هذه السبع دون سواها ؟

وفى حديث آخر ثلاث ؟ وفى غيره اربع ؟

يجاب على هذا كله ، بأن هذه الأمور المذكورة المصرح بها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها ، لاسيما فيما كان الناس عليه فى الجاهلية ، وقد جاء فى بعض الأحاديث مايفيد أنه قد ذكر فى بعضها مالم يذكره فى الأخرى ، ففى حديث : « من الكبائر شتم الرجل والديه » كما ورد فى النميمة ، وعدم الاستبراء من البول أنهما من الكبائر ، وفى حديث : « من الكبائر اليمين الغموس واستحلال بيت الله الحرام » .

أما عن تحديد الكبيرة ، فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : كل شىء نهى الله عنه فهو كبيرة ، وبهذا قال أبو اسحاق الاسفرايينى ، وحكاه القاضى عياض عن المحققين ، محتجين بأن كل مخالفة فهى بالنسبة إلى جلال الله تعالى كبيرة

أما الجمهور من السلف والخلف فيذهب إلى انقسام المعاصى إلى صغائر وكبائر وتنقسم الذنوب إلى قسمين ذنوب تكفرها الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة .

والقسم الثانى : ذنوب لا يكفرها ذلك ، كما جاء فى الحديث : « ما لم يغش كبيرة » أى مالم يرتكب ذنبا كبيرا ، فما تكفره الصلاة ونحوها صغائر . وما لا تكفره كبائر .

وأما ضابط الكبيرة ، فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب ، وقيل : هى ما أو عد الله عليه بنار أوحد فى الدنيا . وقيل : هى كل ذنب قرن به وعيد أوحد أو لعن .

ومن علامات الكبائر : إيجاب الحد ، والإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ، أو وصف صاحبها بالفسق ، أو اللعن . وللامام أبى الحسن الواحدى المفسر وغيره رأى فى ذلك نرى من تمام الفائدة أن نورده هنا ، قال : الصحيح أن حد الكبيرة غير معروف بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصى بأنها كبائر ، وأنواع بأنها صغائر ، وأنواع لم توصف وهى مشتملة على صغائر ، وكبائر ، والحكمة فى عدم بيانها : أن يكون العبد ممتنعا من جميعها مخافة أن يكون من الكبائر ، قالوا : وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر وساعة يوم الجمعة ، وساعة إجابة الدعاء من الليل ، واسم الله الأعظم ونحو ذلك مما أخفى .

ومما ينبغى التنبيه إليه أن الإصرار على المعصية الصغيرة يجعلها تأخذ حكم الكبيرة ، لأن تكرارها يشعر بقلة المبالاة بالدين كارتكاب الكبيرة ، ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، بل إذا اجتمعت بعض الذنوب الصغائر المختلفة كانت كالكبيرة ، لأن اجتماعها يشعر بما تشعر به الكبيرة . ومعلوم أن الكفر أكبر الكبائر . وأول الموبقات ، وأما السحر فمذهب الجمهور أنه حرام ومن الموبقات سواء فى ذلك فعله وتعلمه وتعليمه

وقيل : إن تعلمه ليس بحرام وإنما يجوز ليعرف ويرد على صاحبه ويميز عن كرامة الأولياء .

وكذلك الحال بالنسبة للقتل وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم

الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات فكلها من أكبر الكبائر ، ومن الموبقات التي تهلك أصحابها وتوردهم موارد الخسران ، وقد ورد الإحصان في الشرع على خمسة أقسام : العفة ، والاسلام والنكاح ، والتزويج ، والحرية .

وبهذا الحديث يتضح لنا بيان السنة الشريفة ، وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على هداية أمته وتجنيبها مواطن الهلاك والخسران ، فهو يحذر المسلمين من تلك الأمور المهلكة ويقول لهم اجتنبوا السبع الموبقات ، وفي البعد عن تلك المحرمات صيانة للعقيدة ، والنفس ، والمال ، والعرض والوطن الإسلامي عامة .

الاستنباط

١ — حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على هداية أمته وصيانة دينها و نفسها ومالها وعرضها .

٢ — أن هذه الأمور المذكورة من أكبر الكبائر ومن الموبقات التي تورد أصحابها موارد الهلاك .

٣ — ان هناك أنواعا أخرى غير هذه الأمور المذكورة ولكن اقتصر على هذه لكونها من أخص الكبائر وأكثرها وقوعا .

٤ — دعوة الاسلام إلى مافيه سلامة الدين والنفس

———————

هداية المسلمين ليوم الجمعة

ن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه اليهود غدا ، والنصارى بعدغد» رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري .

المفردات

الآخرون السابقون) ، أي (الآخرون) في الوجـــود والزمان السابقون) بالفضل ودخول الجنة .

بيد): بمعنى «غير» ، وتكون بمعنى «على» وبمعنى «مع» وبمعنى «من أجل» هذا صحيح وإذا كانت بمعنى غير فتنصب على الاستثناء ، وإن كانت « مع » فتنصب على الظرف .

أوتوا الكتاب) : اللام للجنس ، والمراد بالكتاب مايشمل التوراة يل .

ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم) : المراد باليوم يوم الجمعة ومعنى فرض تعظيمه .

ليهود غدا والنصارى بعد غد) أي لليهود يوم السبت وللنصارى يوم باعتبار اختيارهم و « غدا » منصوب على الظرفية وهو متعلق بمحذوف : اليهود يعظمون غدا ، والنصارى يعظمون بعد غد ، وإنما احتيج ذا التقدير لأن ظرف الزمان لايكون خبرا عن الجثة ، أو أن لام حذفا والتقدير : تعييد اليهود غدا ، وتعييد النصارى بعد غد .

المعنى

الجمعة بضم الميم وقد تسكن ، اسم لليوم الكريم المبارك الذى هدى الله المسلمين إليه ، وكان هذا اليوم يسمى فى الجاهلية « العروبة » بفتح العين ، وإنما سمى بالجمعة ، لأن خلق آدم عليه السلام جمع فى هذا اليوم وهذا أصح الأقوال وقيل : سمى بذلك لاجتماع الأنصار مع أسعد بن زرارة فصلى بهم وذكرهم فسموه الجمعة لاجتماعهم به . وقيل : لأن كمال الخلائق جمع فيه .

وقيل : لأن كعب بن لؤى كان يجمع قومه فيذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم بأنه سيبعث منه نبى . وقيل لأن قصيا هو الذى كان يجمعهم .

وجزم ابن حزم بأنه سمى بذلك ، لاجتماع الناس للصلاة فيه ، وقال: إنه اسم إسلامى لم يكن فى الجاهلية وإنما كان يسمى العروبة .

وليوم الجمعة خصوصيات كثيرة منها : مافيه من ساعة الإجابة ، وتكفير الذنوب ، وأنه خير أيام الأسبوع ، وأنه يوم عيد ولا يصام منفردا ، وقراءة « الم تنزيل » و « هل أتى » فى صبيحتها و « الجمعة » و « المنافقين » فيها ، والغسل لها والتطيب والسواك ولبس أحسن الثياب ، والخطبة إلى غير ذلك من الخصوصيات والفضائل التى تميز بها هذا اليوم العظيم .

ومن الخصوصيات الدالة على فضل هذا اليوم ومكانته ما أخرجه الإمام مسلم — بسنده — عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » وقوله صلى الله عليه وسلم فى شأن ساعة الاجابة يوم الجمعة « إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل فيها خيرا إلا أعطاه إياه قال : وهى ساعة خفيفة » رواه مسلم .

ودليل فرضية الجمعة قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » سورة الجمعة (٩) .

وهى فرض عين مستقل، وليست بدلا عن الظهر ولكن لو فاتت الجمعة فعلى الإنسان أن يصلى الظهر أربعا، فهى ليست ظهراً مقصوراً وإن كان وقتها هو وقت الظهر بل هى صلاة مستقلة «لما روى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : « صلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم » : رواه أحمد والنسائى وابن ماجه باسناد حسن .

واتفقت الأمة على فرضيتها « فهى ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع .

وهذا الحديث الذى معنا يوضح مكانة الأمة الاسلامية ، وأنها سابقة للأمم فى الآخرة ، وإن كان وجودها فى الزمان آخر الأمم ، فهم الأولون منزلة وكرامة عند الله سبحانه وتعالى ، وهم أول من يحشر وأول من يحاسب وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة وقيل أن المراد بالسبق فى قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون السابقون » هو إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة .

وقيل : المراد بالسبق : سبق الأمة الاسلامية إلى القبول والطاعة حيث سمعوا وأطاعوا، على عكس أهل الكتاب الذين قالوا : سمعنا وعصينا ونرجح الرأى الأول الذى يقول بالسبق فى المنزلة وفى القضاء بينهم يوم القيامة ، لحديث حذيفة — الذى رواه الامام مسلم — « نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق » .

وتكون هذه الأمة يوم القيامة هى السابقة ، غير أن أهل الكتاب أوتوا التوراة والانجيل من قبل،وأوتيت الأمة الاسلامية القرآن من بعدهم وأشار الحديث إلى يوم الجمعة ، وأن الله فرض على أهل الكتاب تعظيمه ، ولكنهم لم يهتدوا إليه ، قال ابن بطال : ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه ، لأنه لايجوز لأحد أن يترك مافرض الله عليه وهو مؤمن ، وإنما يدل — والله أعلم — أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فى أى الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة اهـ ولو فرض عليهم هذا اليوم بعينه لقيل : فخالفوا بدل اختلفوا .

وقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بهدايتها ليوم الجمعة ، ولكن كيف كانت هذه الهداية ؟ هل نص لهم على يوم الجمعة ؟ أم هداهم إليه بالاجتهاد ؟

إن مما يشهد للقول بهدايتهم بالاجتهاد فيه ما رواه عبدالرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تنزل الجمعة فقالت الأنصار : إن اليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله تعالى بعد ذلك ، يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله . . . ، الآية . وهذا وإن كان مرسلا فله شاهد بإسناد حسن أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وغيره ويمكن الجمع بين الرأيين ، بأنه لا مانع أن تكون الهداية ليوم الجمعة قد حصلت بالطريقين بطريق البيان ، وبالتوفيق فى الاجتهاد ويكون الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد علم بيوم الجمعة عن طريق الوحى وهو بمكة ، ولذا فقد جمع بهم أول ماقدم المدينة ، ولم يتمكن من إقامتها وهو بمكة إما لأنه لم يكمل عددها وإما لأن من شعارها الإظهار وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة يصلى مستخفيا فى بادىء أمر الدعوة .

والمراد بالغد فى قوله . « اليهود غدا » ، هو يوم السبت وبعد غد هو يوم الأحد وإنما اختار اليهود يوم السبت ، لزعمهم أنه يوم فرغ الله تعالى فيه من خلق الخلق ، قالوا : فنحن نستريح فيه عن العمل ونشتغل بالعبادة والشكر والنصارى الأحد ، لأنه يوم بدأ الله فيه بخلق الخلق فاستحق التعظيم .

أما الأمة الاسلامية فقد هداها الله تعالى ليوم الجمعة ، لأنه خلق فيه آدم عليه السلام ، والانسان إنما خلق للعبادة وهو اليوم الذى فرضه الله تعالى فلم يهدهم له وادخره لنا إلى غير ذلك من الخصائص التى تميز بها هذا اليوم والتى وردت بها الأحاديث الصحيحة .

مايؤخذ من الحديث :

١ — مكانة الأمة الاسلامية وفضلها على الأمم السابقة .

٢ — فرضية الجمعة لقوله : فرض عليهم فهدانا الله تعالى له فإن التقدير فرض عليهم وعلينا فضلوا وهدينا .

٣ — الهداية والاضلال من الله سبحانه وهو قول أهل السنة .

٤ — أن الجمعة أول الأسبوع شرعا ويدل على ذلك تسمية الأسبوع كله جمعة .

٥ — مكانة يوم الجمعة وفضله على سائر الأيام ، لماله من الخصائص والمميزات .

« سجود القرآن »

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم « النجم » بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قتل كافرا . رواه البخارى .

المفردات

« النجم » أى سورة النجم المعروفة من سور القرآن الكريم .

« فسجد فيها » أى فى آخرها عقب نهاية الآية ، إذ لا يصح السجود قبل تمام الآية ولو بحرف .

« غير شيخ » هو أمية بن خلف أو الوليد بن المغيرة أو عتبة بن ربيعة أو سعيد بن العاصى أو أبو لهب أو المطلب بن أبى وداعة ، والأصح : أنه أمية بن خلف .

« فرفعه إلى جبهته » أى سجد عليه .

المعنى

من السنن المؤكدة السجود لتلاوة القرآن الكريم ، عند قراءة الآيات التى فيها أمر بالسجود ، ومذهب الشافعية أن سجود التلاوة سنة مؤكدة ، و[illegible] لحديث ابن عمر — عند أبى داود والحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ علينا القرآن ، فإذا مر بالسجدة كبر فسجد وسجدنا معه . وأما الحنفية ، فسجود التلاوة واجب غير فرض ، ويشترط له ما يشترط [illegible] من طهارة ، وستر عورة عند الجمهور . واستدل الأحناف على وجوبه بقول الله تعالى :

«واسجد واقترب» وقوله: «فاسجدوا لله واعبدوا» ومطلق الأمر للوجوب.

ودليل الشافعية والجمهور على أنه سنة ، أن زيد بن ثابت قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم « والنجم » فلم يسجد » رواه الشيخان ، وقول عمر « أمرنا بالسجود ، يعني التلاوة ، فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه » رواه البخاري . وسجود التـــلاوة يكون للقارىء والمستمع فى الصلاة وفى خارجها .

وقال الإمام أحمد مواضع سجود التلاوة خمسة عشر وهي :

١ — فى سورة الأعراف الآية (٢٠٦) «إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

٢ — فى سورة الرعد الآية (١٥) « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » .

٣ — فى سورة النحل الآية (٤٩) « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون » .

٤ — فى سورة الإسراء الآية (١٠٧) « إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا » (١٠٨) « ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » .

٥ — فى سورة مريم الآية (٥٨) « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » .

٦ — فى سورة مريم الآية (١٨) « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب » .

٧ — فى سورة الحج الآية (٧٧) « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .

٨ — فى سورة الفرقان الآية (٦٠) « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » .

٩ — فى سورة النمل الآية (٢٥) «ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض» ..

١٠ — فى سورة السجدة الآية (١٥) «إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون» .

١١ — فى سورة ص الآية (٢٤) «فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» .

١٢ — فى سورة فصلت الآية (٣٧) «لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن» .

١٣ — فى سورة النجم الآية (٦٢) «فاسجدوا لله واعبدوا» .

١٤ — فى سورة الانشقاق الآية (٢١) «وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون» .

١٥ — فى سورة العلق الآية (١٩) «كلا لا تطعه واسجد واقترب» .

ويرى الحنفية أن مواضع السجود أربعة عشر بإسقاط ثانية الحج وقالوا: (إنها غريبة)، وقال الشافعى: أربعة عشر بإسقاط سجدة (ص) وقال: (إنها سجدة شكر). وقال مالك: إحدى عشر ليس فى المفصل منها شىء وإسقاط ثانية الحج .

وفى الحديث الذى معنا بيان وتوضيح لسجود التلاوة فى إحدى سور القرآن وهى سورة «النجم» فقد سجد فيها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وسجد من معه غير شيخ هو أمية بن خلف أو غيره كما سبق، أخذ كفا من حصى أو تراب، وهذا شك من الراوى، فرفعه إلى جبهته فسجد عليه، ويخبر ابن مسعود عن هذا الرجل بأنه قد رآه بعد ذلك قتل كافرا وهذا فى غزوة بدر الكبرى، ويقتضى ذلك أن من سجد معه من المشركين أسلم ، وسورة النجم هى أول سورة نزلت فيها سجدة ولذا بدأ الامام البخارى رحمه الله بها، ولئن كانت سورة «العلق» هى أول ما نزل من القرآن إلا أن أول ما نزل منها هو أولها، وأما باقى السورة فتأخر .

« مايؤخذ من الحديث »

١ — مشروعية سجود التلاوة وأنه من السنن المؤكدة وعند الحنفية واجب.

٢ — مشروعية السجود فى سورة النجم ، وموضع السجود فيها قول الله تعالى « فاسجدوا لله واعبدوا » .

٣ — أن السجود للقارىء والمستمع فى الصلاة وفى خارج الصلاة .

٤ — سورة النجم هى أول سورة نزلت فيها سجدة .

٥ — عناية الصحابة ومحافظتهم على الاقتداء برسولهم صلى الله عليه وسلم .

٦ — مشروعية التكبير لسجود التلاوة .

٧ — يشترط لسجدة التلاوة مايشترط للصلاة من طهارة وستر عورة عند الجمهور .

السجود فى سورة (ص)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «ص» ليست من عزائم السجود. وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها، وحديثه رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم تقدم قريباً من رواية ابن مسعود زاد فى هذه الرواية وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس رواه البخارى .

المفردات

(«ص» ليست من عزائم السجود) أى أن السجود فى سورة «ص» ليس من السجدات المؤكدة المأمور بها، والعزائم: من العزم، ومعناه: عقد القلب على الشىء ثم استعمل فى كل أمر محتوم، والعزيمة ضد الرخصة وهى ما ثبت على خلاف الدليل .

(وحديثه) الضمير يعود على ابن عباس .

(الجن والإنس) من باب الإجمال بعد التفصيل أو التفصيل بعد الإجمال باعتبار أن كلا من المسلمين والمشركين شامل للإنس والجن .

المعنى

عرفنا فيما سبق — أن سجود التلاوة من السنن المؤكدة، وهذا الحديث الذى معنا يوضح أن سجدات التلاوة متفاوتة فى التأكيد، فيكون بعضها آكد من بعض، وضابط السجدات التى تكون آكد من غيرها: هى كل آية ورد فيها أمر بالسجود أو تحضيض، مثل قوله تعالى — فى سورة الحج « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا »، ومثل قوله تعالى — فى سورة النمل — « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض» فكل آية اشتملت على أمر بالسجود أو تحضيض فهى آكد، وتسمى عزائم السجود، وأما ما لم يرد فيه أمر أو تحضيض أو حث على السجود فذلك مثل سجدة سورة «ص» فى قوله تعالى :

« وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب ». وقالت المالكية والحنفية : السجدة عند قوله تعالى : « وإن عندنا لزلفى وحسن مآب » فوطن السجدة فى هذه السورة من تلك الآية إنما جاء إخباراً عن سجود داود عليه السلام توبة وإنابة إلى الله تعالى . وقد سجدها رسول الله صلوات الله عليه ، موافقة لأخيه داود عليه السلام ، وشكراً لله على قبول توبته ، وفيما رواه النسائى من حديث ابن عباس ، قال إن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى «ص» وقال : سجدها داود توبة ، وسجدها شكرا ، فتسن فى غير الصلاة ، وتحرم فيها ، لأن سجود الشكر لا يدخل الصلاة ، فإن سجد فيها عامدا عالماً بطلت صلاته ، وأما إن كان ناسياً أو جاهلا فلا تبطل صلاته ، ولكن يسجد سجود السهو ، وإن سجدها إمامه الحنفى لم يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائماً ، وإذا انتظره لا يسجد للسهو على الأصح ، لأن الإمام يتحمله عنه ، فلا يسجد لانتظاره .

وفى هذا الحديث إشارة إلى اتفاق ابن عباس مع ابن مسعود فى رواية السجود بالنجم ، وإنما سجد صلى الله عليه وسلم لما وصفه الله تعالى فى مفتتح السورة من أنه لا ينطق عن الهوى . . . الخ .

وزاد ابن عباس على ابن مسعود فى هذه الرواية « وسجد معه المسلمون والمشركون » أى الحاضرون منهم ، وكان هذا بمكة عندما سمع المشركون ذكر طواغيتهم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى فسجدوا . وقد ذكر الطواغيت على سبيل الإنكار عليهم ، وأن شأنهم إتباع للهوى والباطل ، وسجد الجن والإنس ، ولكن كيف علم ابن عباس بسجود الجن ؟ الجواب على هذا : أنه علم به من إخباره عليه الصلاة والسلام له مشافهة أو بواسطة ، وإلا فهو لم يحضر القصة لصغر سنه ، وبهذا نرى إلى أى مدى كانت عناية السنة الشريفة بمواطن السجود فى القرآن الكريم ، ومراتب سنيته ونقل ما كان يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام نقلا صحيحاً لأنه الذى يقتدى به . وعنه تؤخذ المناسك ، ويصلى المسلمون كما كان يصلى ، وصدق الله إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

ما يؤخذ من الحديث

١ — سجدة «ص» ليست من عزائم السجود ، وإلى هذا ذهب الإمام الشافعى رحمه الله ، وأما الجمهور فإنهم يرون أنها من عزائم السجود .

٢ — هى عند الإمام الشافعى سجدة شكر وليست بسجدة تلاوة ويترتب على هذا عنده أنه يسجدها القارىء خارج الصلاة ، فإن سجدها فى الصلاة بطلت صلاته .

٣ — أن من رأى أنها سجدة تلاوة وهم الجمهور ، وأنها من عزائم السجود أن الرسول صلى الله عليه وسلم سجد فيها .

٤ — الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه فى كل الأمور .

(٤) السجود فى سورة النجم

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم « والنجم » فلم يسجد فيها ، رواه البخارى

المفردات

« أنه قرأ على النبى صلى الله عليه وسلم » الضمير فى أنه يعود على زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه .

« والنجم » أى سورة النجم ، « فلم يسجد فيها » : موضع السجود ، المقصود هو عند الآية الثانية والستين فى قوله تعالى « فاسجدوا لله واعبدوا »

المعـــنى

فى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تشريع لأمته ، كما فى إقراره الصحابة على الفعل فى حضرته منه ، تشريع أيضا وبيان لهم ولسائر المسلمين ، لأن كل ذلك من السنة ، التى هى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم ، وفى هذا الحديث قرأ زيد بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه سورة « النجم » على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فلم يسجد فيها ، وبهذا الحديث تمسك المالكية ، كما تمسكوا بنحو حديث عطاء بن يسار سألت أبى بن كعب فقال : ليس فى المفصل سجدة ، ومذهب الإمام الشافعى القديم يقول : [illegible] مالك فى القرآن إحدى عشرة سجدة ليس فى المفصل منها شىء ثم قطع الإمام الشافعى فى المذهب الجديد ، بإثبات السجود فى المفصل فى رواية المزنى [illegible] مشروعية السجود فى المفصل هو رأى الجمهور ، وأما ما رآه الإمام مالك فإنه [illegible] احتج بعمل أهل المدينة [illegible] زيد بن ثابت رضى الله عنه ومن الجائز أن يكون رسول الله صلوات الله وسلامه عليه سجد فيها تارة ، ثم لم يسجد تارة [illegible] أنها سنة ، وليدفع ما عساه أن يتوهمه البعض بأنها

فريضة ، ومن الجائز أن يكون قد ترك السجود لمانع من ذلك كأن يكون غير متوضىء مثلا والله أعلم .

ما يؤخذ من الحديث

١ – السجود فى « النجم » سنة ، فمن تركها لا شىء عليه

٢ – توضيح الرسول عليه الصلاة والسلام الأعمال لأمته وتركه بعض الأشياء فى بعض الأحيان حتى لا يظن أحد أن ذلك الفعل واجب .

٣ – مذهب المالكية لا سجود فى النجم ولا فى المفصل عموما

٤ – مذهب الشافعي الجديد يرى إثبات السجود فى المفصل .

السجود فى سورة الانشقاق

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قرأ « إذا السماء انشقت » فسجد بها فقيل له فى ذلك ؟ فقال : « لو لم أر النبى صلى الله عليه وسلم يسجد لم أسجد » . رواه البخارى

المفردات

« فسجد بها » أى فسجد فيها ، « والباء » للظرفية ، وفى رواية «فيها» بدل بها فقيل له فى ذلك «أى سئل على سبيل الإنكار عليه عن ذلك السجود عند تلك الآية» .

المعنى

فى هذا الحديث بيان لحكم السجود الذى يتعلق بسورة الانشقاق وموضعه عند الآية الحادية والعشرين فى قول الله سبحانه وتعالى : « وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون » فقد قرأ الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه هذه السورة وسجد فيها فسئل عن سجوده هذا عند تلك الآية على سبيل الإنكار عليه ، فكانت إجابة أبى هريرة رضى الله عنه على من أنكر عليه هذا السجود أن قال له : «لو لم أر النبى صلى الله عليه وسلم يسجد لم أسجد» وهى إجابة بلا شك مقنعة إذ هى تحمل الدليل من فعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو الأسوة الحسنة ، والقائل : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وإنما توجه الإنكار إلى أبى هريرة ، لأن العمل استقر على خلاف السجود فيها ، لما روى أنه لم يسجد فى المفصّل منذ تحول إلى المدينة والمفصل هو أواخر القرآن الكريم من أول سورة « ق » أو سورة « الحجرات » إلى آخر القرآن الكريم .

ولكن أبا هريرة رضى الله عنه لما ذكر لمن أنكر عليه أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها لم ينازعه ، ولم يحتج عليه بالعمل ، وحينئذ فلا دلالة منه لمن يرد السجود فيها فى الصلاة ، وإنما كانت هذه الآية من سورة الانشقاق

محل سجود مع أنها مجرد إخبار بأنه إذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون، لأنه يلزم من ذلك مدح الساجدين . قال الشيخ الشرقاوى فى فتح المبدى : وضابط ما يستحب عنده السجود : كل آية مدح فيها جميع الساجدين نصريحا أو ضمنا كما هنا .

ما يؤخذ من الحديث

١ ـ الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وفى سجود التلاوة

٢ ـ ثبوت سجود التلاوة فى سورة « إذا السماء انشقت »

٣ ـ استحباب سجود التلاوة عند كل آية مدح فيها جميع الساجدين صريحا أو ضمنا .

اقتداء الصحابة برسولهم عليه الصلاة والسلام

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته . رواه البخارى

المفردات

« عن ابن عمر » هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما « أحدنا » أى بعضنا ، وهو بعض غير معين ، فليس المراد بقوله أحدنا كل أحد .

المعنى

كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقرأ على أصحابه رضى الله تعالى عنهم من كتاب الله ما تيسر ، ويقرأ عليهم السورة من سور القرآن الكريم التى تشتمل على موضع سجود التلاوة ، فإذا ما بلغ ذلك الموطن من قراءته يسجد ويسجد المسلمون الذين معه حتى ما يجد بعضهم الموضع الذى يضع جبهته عليه حال السجود ، وذلك بسبب كثرة الساجدين ، وعدم اتساع المكان ، فهم فى غير وقت الصلاة ، والمسلم حينئذ أن يسجد ولو على ظهر أخيه المسلم ، فعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : « إذا اشتد الزحام فليسجد أحدكم على ظهر أخيه » رواه البيهقى بإسناد صحيح ، وله أن يسجد على ظهر أخيه ولو بغير إذنه . ولا بد حينئذ من مراعاة هيئة الساجد ، وذلك بأن يكون الساجد على ظهر أخيه — مثلا فى مكان مرتفع ، ويكون المسجود عليه فى مكان منخفض وبهذا قال أحمد والكوفيون .

قال مالك : يمهل فإذا رفعوا سجد ، وإذا كان السجود على ظهر المسلم جائزا فى الفرض ، ففى سجود القرآن من باب أولى ، لأنه سنة .

ما يؤخذ من الحديث

١ — اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأسيهم به فى كل أعماله وعباداته .

٢ — جواز السجود على ظهر من يكون أمام الإنسان فى حالة الزحام .

٣ — قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وبعض السور على أصحابه وتعليمه لهم وإرشاده لهم ، ومحافظتهم على مجالسه الشريفة .

قصر الصــــلاة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر . رواه البخاري .

المفردات

(تسعة عشر) يوما بلياليهن .

(يقصر) بضم الصاد أو بضم الياء وتشديد الصاد من التقصير وجملة « يقصر » في محل نصب حال .

المعنى

قال الله تعالى : « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » . وقد قال يعلى بن أمية قلت لعمر : إنما قال الله تعالى « إن خفتم » وقد أمن الناس ؟ فقال : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » رواه مسلم .

والقصر إنما يكون في الصلاة الرباعية فحسب ، والحديث الذى معنا دليل على ذلك ، فلا قصر إلا في الظهر والعصر والعشاء أما الصبح والمغرب فلا قصر فيهما .

والقصر يكون في كل سفر طويل مباح طاعة كان السفر كالحج أو غيرها ولو مكروها كسفر تجارة في الأكفان تخفيفاً على المسافر لما يلحقه من تعب السفر وعناء الطريق والمشقة العامة بدنية كانت أو نفسية أو ذهنية .

وأما سفر المعصية فلا قصر فيه خلافا لأبي حنيفة حيث أجازه في كل سفر وكان قصر الصلاة في السنة الرابعة من الهجرة ، وأول صلاة قصرت صلاة العصر قصرها صلى الله عليه وسلم بعسفان في غزوة أنمار .

وهذا الحديث يوضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقام – فى فتح مكة – تسعة عشر يوما بلياليها ، وظل هذه المدة يقصر الصلاة الرباعية وذلك لأنه كان مترددا متى يتهيأ له فراغ حاجته وهو انجلاء حرب هوازن ارتحل، وللحديث روايات أخرى منها : ما رواه أبو داود بلفظ : « سبعة عشر » وله أيضا من حديث عمران بن حصين قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فأقام بمكة ثمانى عشر ليلة لا يصلى إلا ركعتين .

وروى أبو داود أيضا عن ابن عباس أقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يقصر الصلاة وضعفها النووى وأخرج هذه الرواية النسائى من وجه آخر .

ويمكن الجمع بين تلك الروايات المختلفة : بأن راوى تسعة عشر عد يومى الدخول والخروج . وراوى سبعة عشر لم يعدهما . وراوى ثمانية عشر عد أحدهما . وراوى خمسة عشر ظن أن الأصل رواية سبعة عشر فحذف يومى الدخول والخروج فذكر أنها خمسة عشر . والجمهور على أن قصر الصلاة فى السفر رخصة وعند الإمام أبى حنيفه : أن القصر واجب ، لأنه الأصل ثم زيد فى صلاة الحضر كما جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : أول ما فرضت الصلاة ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر متفق عليه ، وزاد الإمام أحمد : إلا المغرب فإنها وتر النهار ، وإلا الصبح فإنها تطول فيها القراءة ، واستدل الجمهور على كون القصر رخصة وليس واجبا بقول الله تعالى : « . . . فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » وقالوا فى قوله : « أول ما فرضت الصلاة ركعتين . . . » معنى فرضت : قدرت ويجوز المسافر أن يصلى الصلاة تامة بدون قصر ، إلا أن الأخذ بالرخصة أفضل فالقصر أفضل ، لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » رواه أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان . وفى رواية (كما يحب أن تؤتى [illegible]

عزائمه) . . . وتلك من سماحة الدين الاسلامى ويسره ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

ما يؤخذ من الحديث

١ — جواز قصر الصلاة الرباعية وجواز الإتمام والقصر أفضل لأنه رخصة وسنة .

٢ — إذا تردد الإنسان متى يتهيأ له فراغ حاجته يرحل فإن له القصر وإن بقى مدة أكثر من أربعة أيام .

٣ — سماحة الاسلام ويسره ، « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

فضل من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر

روى الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان».

قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يا رسول الله ما على أحد يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم وأرجو أن تكون منهم».

المفردات

(زوجين): يطلق الزوج على الاثنين، ويطلق على الصنف، والمراد بالزوجين إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد.

(في سبيل الله) يراد به جميع وجوه الخير فهو أعم من الجهاد وغيره. وقيل: هو مخصوص بالجهاد، والأول أصح وأظهر.

(هذا خير) لفظ خير بمعنى فاضل لا بمعنى أفضل فيكون المراد لك هنا خير وثواب وغبطة وقيل: معناه هذا الباب فيما تعتقده خير لك من غيره من الأبواب لكثرة ثوابه ونعيمه فيكون أدعل تفضيل.

(الريان) : سمي بهذا تنبيهاً على أن العطشان سيروى وهو مشتق من الري .

المعنى

يوضح هذا الحديث فضل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالزيادة من التطوع بالصلاة والجهاد والصدقة والصيام وغير ذلك وقد خص الحديث هذه الأنواع الأربعة التي تدل على أبواب أربعة للجنة لأهميتها. ولكن عدد أبواب الجنة ثمانية . . فهناك باب للحج وهو الباقي من الأركان، وباب الكاظمين الغيظ وباب العافين عن الناس، ومن أبواب الجنة الباب الأيمن، وهو باب المتوكلين الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب، وهناك أيضاً باب الذكر.

وإذا نظرنا إلى الأعمال الصالحة وإلى عدد الطاعات والعبادات وجدناها أكثر من ذلك، وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد بالأبواب التي يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الأصلية .

فكل عامل يدعى من باب ذلك العمل عن أبي هريرة « لكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل » أخرجه أحمد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح .

وليس المراد بتلك الأعمال الواجب منها بل المراد الأعمال المتطوع به منها فما أكثر من يجتمع له العمل بجميع الواجبات بخلاف التطوع والنوافل فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواعها، ومن يجتمع له كل ذلك من التطوع يدعى من جميع الأبواب تكريماً له، ومن الواضح أنه لا يدخل الإنسان إلا من باب واحد ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه .

ويطلق « الزوج » على الإثنين وعلى الصنف، ويحتمل أن يكون الحديث في جميع أعمال البرّ من صلاتين أو صيام يومين، والمطلوب تشفيع صدقة بأخرى،

فالحديث يدعو إلى الإستكثار من الإنفاق، وخاصة النفقات سبحانه وتعالى خالصة « في سبيل الله » وهو الجهاد أو هو على العموم في جميع وجوه الخير المطلوبة ومن كان كذلك: « نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير » أي هذا خير وثواب وغبطة يحظى بذلك جزاء ما قدمه في دنياه من صالح الأعمال.

وقيل: هذا الباب خير لك من غيره من الأبواب لكثرة ما فيه من السعادة والنعيم فتعال فادخل منه.

وهكذا يدخل من باب الصلاة من كان أكثر تطوعه الصلاة ويدخل من باب الريان من كان أغلب تطوعه الصيام، ويدخل من باب الصدقة من كان أغلب تطوعه الصدقة وهكذا..

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟

وفي هذا ما يفهم منه قلة من يدعى من تلك الأبواب كلها.

ولا تعارض بين هذا الحديث، وبين الحديث الآخر الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عمر: « من توضأ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله ». الحديث وفيه: « فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء ».

فيحمل هذا على أنها تفتح له الأبواب على سبيل التكريم، وأما عند دخول الجنة فإنه لا يدخل إلا من باب العمل الذي يكون أغلب عليه.

ولكن التعبير بالإنفاق في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم «من أنفق زوجين » الخ يكون واضحاً في جانب المال وما يتصدق به على المحتاجين وما ينفقه الإنسان ولكن الإنفاق في غير ذلك يحتاج إلى إيضاح فيراد بالإنفاق في الصلاة وبالصيام أن يقوم المسلم بأداء الصلاة على أكمل وجه وبالصيام كذلك بحيث يبذل نفسه وبدنه فيهما فيؤديها على أتم وجه وعلى أكمل هيئة، فإن

العرب تسمي ما يبذله المرء من نفسه نفقة، كما يقال أنفقت في طلب العلم عمري، وبذلت فيه نفسي.

وقيل: الإنفاق في الصيام يتأتى بأن يفطّر الصائم وينفق عليه، ولكن ذلك يرجع إلى باب الصدقة.

وقال الحافظ بن حجر: ويمكن أن يكون المراد بالإنفاق في الصلاة فيما يتعلق بوسائلها من تحصيل آلاتها من طهارة وتطهير ثوب وبدن ومكان، والإنفاق في الصيام بما يقويه على فعله وخلوص القصد فيه. والإنفاق في العفو عن الناس يمكن أن يقع بترك ما يجب له من حق، والإنفاق في التوكل بما ينفقه على نفسه في مرضه المانع له من التصرف في طلب المعاش مع الصبر على المصيبة أو ينفق على من أصابه مثل ذلك طلباً للثواب والإنفاق في الذكر على نحو ذلك.

وفي إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله عنه بقوله:

« نعم وأرجو أن تكون منهم » هذا الرجاء واقع كما يقول العلماء: الرجاء من الله ومن نبيّه واقع.

وفي رواية أخرى عند الإمام مسلم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فل هلم» فقال أبو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني لأرجو أن تكون منهم » ومعنى « أي فل »: أي فلان فحدث ترخيم ونقل إعراب الكلمة على إحدى اللغتين في الترخيم، وقيل: « فل »: لغة في فلان في غير النداء والترخيم. ومعنى: « لا توى عليه » أي لا هلاك.

وهكذا يحث هذا الحديث على مضاعفة الطاعة والعبادة وأن من يتميز في عبادة من العبادات ويكثر من الطاعات فيها - تناديه الملائكة وهم خزنة الجنة كل

خزنة باب يقول له هلم يدناك من أجل جزائه ومكافأته عند ربه والله يضاعف لمن يشاء.

ما يؤخذ من الحديث

١ - فضل الإستكثار من العمل الصالح ومن النوافل والتطوع في الصدقات وغيرها.

٢ - أن الصدقة كما تكون في المال تكون في كثير من مجالات الأعمال الصالحة والعبادات الأخرى.

٣ - وفي الحديث منقبة لأبي بكر رضي الله عنه.

٤ - جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب وغيره.

٥ - أن من أكثر من شيء من الطاعات عرف بذلك وأن أعمال البرّ قلّ أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء.

٦ - أن الملائكة يحبون الصالحين من بني آدم، ويفرحون بهم، فإن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل.

٧ - أن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب.

أحب الأعمال إلى الله أدومها

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا كان عمله ديمة وأيكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع.

قال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا سعد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة فقال «من هذه؟» قالت فلانة تذكر صلاتها قال «مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه».

المعنى

جاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد، وفي رواية الإمام مسلم أنها الحولاء، بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى من رهط

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ونقل عنها أنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة رضي الله عنها للمرأة ومدحها لها مع النبي عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة فلذلك مدحتها في وجهها ولكن رواية حماد بن سلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة، أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه ولفظه: كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن هذه يا عائشة؟، قلت يا رسول الله هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة. الحديث.

وكلمة (مه) مبنية على السكون وهي اسم فعل بمعنى أكفف. وهذا النهي متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت، كما يحتمل أن يكون نهياً عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله. وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى « عليكم بما تطيقون » أي افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه يقتضي الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما يطاق، وإن كان سبب ورود هذا الحديث خاصاً بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاماً في قوله «عليكم» مع أن المخاطب النساء، ومعنى « لا يمل الله حتى تملوا » والملال: هو استثقال الشيء والنفور عنه بعد محبته.

وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله تعالى، بل هو محال، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ وقال الهروي معناه: لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه. وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون، والأولى أنه من باب المقابلة، ومعنى « أحب الدين إليه ما دوام عليه صاحبه » فمعنى المحبة من الله تعالى إرادة الثواب أي أكثر الأعمال ثواباً أدومها لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق،

فإن العمل الدائم ولو كان قليلاً ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع. أما الذي يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك - أي لضيفك - عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها. . ». رواه البخاري.

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الإعتدال والقصد في الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط، قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ وقال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وقال: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المتنطعون» أي الذين يبالغون ويتشددون في الأمور، وقال: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا».

وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذي يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح. وقد ذم الله تعالى من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا إبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾.

وكثيراً ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم إحتقار اليسير

منها. قال عليه الصلاة والسلام: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» والفرسن: هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف». وقد قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

وقد قاوم الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يغالون في أعمالهم، روى أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل» قالوا هذا حبل لزينب تقوم تصلي فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «حلوه»، ثم قال: «ليصلي أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد».

كما روى أنس رضي الله عنه أيضاً قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها أي عدوها قليلة - وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقد حكي أن قوماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم، فنظروا إليه فرأوه وهو في البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والرديء، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد دخلنا بعض الشك في جودك بعد أن رأينا ما تصنعه في البستان، فأجابهم إن ما رأيتم من حرصي على مالي هو الذي مكنني من تحقيق غرضكم.

أي أن الإعتدال في الأمور كليها، والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان، مواصلة العمل، والإستمرار في وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب - عاما وشاملا لسائر العبادات، والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم يدع جانباً من تلك الجوانب إلا ووجه المسلم إلى الإعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي جانب الأكل والشرب، قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.

وفي جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالإعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلاً ولا مبذراً، فقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط..﴾

وفي جانب العبادة لم يكلف الله الناس بما لا طاقة لهم به قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

وإليك المصير﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم».

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تثبيت منهج الإعتدال في الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم في العمل، ورأفة منه ورحمة بهم.

لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل، حتى إنه كان يترك في بعض الأحيان - بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها، فتفرض عليهم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم. وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحة الضحى قط وإني لأسبحها» وهي نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ ومعنى الآية: إن الله تعالى يمتن على المؤمنين، حيث أرسل إليهم رسولاً من جنسهم، وعلى لغتهم كما دعا

إبراهيم عليه السلام، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾ وقال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾.

وأنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته، والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: أضرب مثل هذا أو مثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مغازة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المغازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة جدة، فقال: أرأيتم ان وردت بكم رياضاً معشبة، وحياضاً رواء تتبعوني؟ فقالوا: نعم، قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة، وحياضاً رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه، وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه».

كل هذا يدل على رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته، واتباعه معها طريق اليسر والتسامح، فإنه يعز عليه أن ترى شيئاً يشق عليها، أو حرجاً تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا رحمة مهداة» فالرحمة جوهر رسالته قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ والطريق إلى هذه الرحمة يسير في إتجاهين مستقيمين.

أحدهما: في التيسير في التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة في كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثاني: بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم في العبادة ودوام عليها وإن كانت قليلة داوم الله تعالى بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل» أما نتيجة هذا الحب من الله تعالى، فقد بيّنه فيما جاء في الحديث القدسي: «.. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه..» ومن مظاهر حرص الرسول صلى الله عليه وسلم: على أمته أمره لهم من جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يحبون به في الزيادة وما يستطيعون القيام به عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم» رواه أحمد ومسلم والنسائي.

وروى أحمد والنسائي بمعناه: عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

ومن مظاهر التيسير أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سبباً في تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك من توجيهه وإرشاده فكان صلى الله عليه وسلم يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السآمة، عن ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا وكان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم فكان يعطيهم فرصة

للراحة والإستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز وهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنبج النبوي الحكيم.

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافي وأمره أن يسير على سنن التدريج معهم فيقول له « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة توخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ».

ويتبادر هنا سؤال هو: أن الله تعالى قد أمرنا بالإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ ومن المعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل متهجداً راكعاً ساجداً حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله وحتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء فتقول له في ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيجيبها « أفلا أكون عبداً شكوراً ».

وكان يواصل الصيام، والوصال: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين. فلم لم يكن الإقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة؟ وللإجابة على هذا نقول: أن كل حكم يثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهو ثابت أيضاً في حق أمته إلا ما استثنى بدليل كبعض خصائصه صلى الله عليه وسلم ، فإن خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتأسى به في جميعها، وقد توقف في ذلك إمام الحرمين، وقال

أبو شامة: ليس لأحد التشبه به في المباح كالزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه «كالأكل من الصدقة» ويستحب التشبه به في الواجب عليه كالضحى.

قال الحافظ ابن حجر - في فتح الباري: وأما المستحب - أي في حقه صلى الله عليه وسلم - فلم يتعرض له، والوصال منه أي وصال الصيام من قبيل المستحب في حق النبي صلى الله عليه وسلم - فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتساء به فيه إهـ.

ولعل مراد الحافظ بقوله: «إن لم ينه عنه» أي بالنسبة لبعض الناس وفي بعض الأحوال وهذا نادر، وأما الأعم الأغلب فهو ما وردت به السنة الصحيحة الصريحة في ذلك من النهي عن الوصال.

روى الإمام البخاري رحمه الله قال حدثنا يحيى: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والوصال» مرتين، قيل: إنك تواصل: قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

ما يؤخذ من الحديث

١ - التيسير وعدم التعسير والرحمة بالأمة الإسلامية في سائر التكاليف الشرعية صلاة وزكاة وصياماً وحجاً وما إلى ذلك.

٢ - أن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها.

٣ - يقوم منهج الإسلام على الإعتدال في العبادة والعمل دون إفراط أو تفريط.

كرم وإيثار

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: لما قدمنا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع. فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت، نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال سوق قينقاع. قال فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو، فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجت؟» قال: نعم. قال: «ومن؟» قال: إمرأة من الأنصار، قال: «كم سقت؟» قال: زنة نواة من ذهب. أو نواة من ذهب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولم ولو بشاة» رواه البخاري.

إن نماذج الأخوة الإسلامية التي أرستها العقيدة وكونها الإسلام، ووثق روابطها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت تمثل أسمى القيم وأرفع الفضائل وأنبل الأخلاق والسجايا. وحسب هذه المؤاخاة نجاحاً وتوفيقاً ما أثمرته لدى الأنصار من الآثار، التي ستظل مضرب الأمثال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- وفي هذا الحديث نموذج من نماذج الإيثار، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع. وكان سعد أكثر الأنصار مالاً، وكان له زوجتان، فدعته أخوة الإسلام التي سمت على أخوة

العصب والدم، نقدم إلى أخيه عبد الرحمن ما تعز به النفس البشرية، وما يضن به الشقيق على شقيقه، عرض عليه المال، ولكن في أية صورة، أيعطيه مبلغاً من ماله أو جزءاً منه أو ربعه أو ثلثه لا، وإنما قدم له نصف ما يملك. ثم لا يكتفي بالمال، وإنما يعرض عليه أي زوجتيه أراد فينزل عنها. فإذا حلت تزوجها. إنه حقاً لمثل فريد في الإكرام والإيثار، مثل جل عن النظير في دنيا الناس، وفي تاريخ المعاملات الإنسانية، والمكرمات الأخوية بين بني البشر.

ولكن عبد الرحمن بن عوف أبى ذلك، ودعا لأخيه بالبركة في أهله وماله قائلاً له« بارك الله لك في أهلك ومالك »، وأجابه على ما عرض عليه بقوله: « لا حاجة لي في ذلك » ثم سأل عن السوق ليعمل بالتجارة فدلوه، فتابع الغدو فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من سمن وأقط وتزوج. فلما جاء عبد الرحمن ورأى النبي صلى الله عليه وسلم بشاشة العرس والطيب، قال له «أتزوجت؟» قال نعم، فقال له: «ومن؟» قال: امرأة من الأنصار قال: «وكم سقت؟» قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أولم ولو بشاة».

ويستدل بهذا على تأكيد أمر الوليمة، وعلى استحباب المؤاخاة وحسن الإيثار من الغني للفقير.

وفي هذا دلالة على فضيلة سعد بن الربيع وما ضرب به من أروع المثل في الإيثار، وفضيلة عبد الرحمن بن عوف وما ضربه من أروع الأمثلة في علو الهمة وعزة النفس والرغبة في العمل والكسب، وإن العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لنزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها.

لقد استحق الأنصار بفضل إيمانهم القوي وإيثارهم النادر أن ينزل في شأنهم قرآن يتلى، شاهد لهم بالفوز والفلاح: ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

ولقد فتح الله تعالى على عبد الرحمن بن عوف بعد ذلك، فما لحق بربه إلا وكان من أثرى الناس وأكثرهم مالاً، كريم النفس بعيداً عن الشح باذلاً للمعروف محباً للخير.

عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك، فقلت له: فسأل عن سبب ذلك

فقال: إني إذ وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن، ولم أفعل، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

ولقد توج القرآن أولئك المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان بتاج الرضا والسعادة في الدارين.

قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾.

تلك هي نماذج سلفنا، وهكذا كانت حياتهم مترعة بالفضائل، بعيدة عن الرذائل، مشرقة بالإيثار والبذل والعطاء، فوسعوا الناس بقلوبهم وصدورهم قبل أموالهم وديارهم فأين هذه الفضائل العالية، والقيم المثلى من الأثرة والأنانية وحب الذات وغير ذلك مما ضاقت به حياة المجتمعات المادية اليوم.

إن للأخوة الإسلامية حقوقاً، وواجبات يجب على الأفراد والجماعات أن يقفوا عليها، وأن يتمثلوا مبادئها، وأن يسيروا على هداها.

فيلزم أن يشعر المسلم من أعماقه بأخوة أخيه المسلم مهما بعدت الديار.

وتعددت اللغات والأشكال، بيد أن تتجاوب مشاعر الإيمان بينهم فتهلل حياتهم بالتعاطف، وتشيع بينهم المودة، ويصبح الجميع بنعمة الله إخواناً. إن سر هذا الإيثار والتأليف بين القلوب إنما هو الإيمان بالله، فهو سبحانه الذي ألف بين قلوبهم، كما قال تعالى:

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾.

ما يؤخذ من الحديث

١ ـ مكانة الأخوة الإسلامية وحقوقها العظيمة.

٢ ـ منقبة لعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع.

٣ ـ الكرم والسخاء بين الإخوة المسلمين.

٤ ـ فضل العمل وأهميته في الإسلام.

٥ ـ مشروعية الوليمة عند الزواج.

الصيام

الصيام هو أحد أركان الاسلام التى يقوم بها، ويبنى عليها؛ وقد فرضه الله تعالى على المؤمنين من هذه الأمة، كما فرضه على من قبلها من الأمم فالصوم عبادة قديمة لم تخل أمة من الأمم من افتراضها، وكان لكل أمة صوم .

فمن أنواع الصوم السابقة : صوم بعض المتصوفة لجميع أيام العمر رغبة فى مزيد من الثواب ، ومثل هذا صوم بعض الرهبان .

ومن أنواع الصيام : الصيام عن الكلام . وعرف هذا النوع عند اليهود ، ومن ذلك : ما حكاه الله تعالى عن مريم عليها السلام «فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا(١)» .

ومن أنواع الصيام السابقة : صوم بعض المسيحيين عن الغذاء الحيوانى وما يشتق منه .

ومن أنواعه كذلك : الصيام عن جميع الأعمال أو أغلبها ، كما هو عند البوذيين واليهود .

ومنه : صوم بعض الهنود الذين يجعلون الأرض وطاء لهم . وما إلى ذلك من صفات الامتناع والإمساك التى تعددت عند كل قوم على حسب صومهم .

والناظر إلى فريضة الصيام فى الإسلام يرى أنها أخذت وضعاً يختلف عما كان عليه غير المسلمين، وجاءت وسطاً بين الأنواع الأخرى . فلا هى امتناع دائم يشق على المسلمين القيام به ، ولا هى امتناع قصير ، لا يترك

---

(١) سورة مريم آية ٢٦

كبير أثر فى النفوس بل إنها وسط بين الأمور، لا إفراط فيها ولا تفريط مما يدل على سماحة الإسلام ويسره ، ودقة تشريعه وحكمته .

حكمة الصوم :

وقد فرض الصيام على المسلمين لحكمة جليلة ، هى تحصيل تقوى الله تعالى ؛ كما أشار سبحانه فى قوله : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون(١) » ؛ وبهذا تتحدد لنا الحكمة من الصيام وهى الوصول إلى التقوى وهى اتقاء عذاب الله ، باتقاء كل معصية ، فيمتثل الإنسان ما أمر الله به ويجتنب ما نهى عنه .

وفى قوله تعالى : «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه(٢) » ، فى هذه الآية بيان لسبب اختصاص شهر رمضان بالصوم دون سواه من بقية شهور السنة ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى الحكمة فى اختيار شهر رمضان بالصوم : بأنه الشهر المبارك الذى ميزه الله تعالى بنزول أكبر نعمة فيه وهى القرآن الكريم الذى يهدى التى هى أقوم . وفيه شفاء لما فى الصدور ، ورحمة للمؤمنين ، وتطهير للقلوب ، وتزكية للارواح ، وتلك نعمة من أعظم النعم وأجلها ، يجب على من اهتدوا بها أن يشكروا صاحبها بالغدو والآصال ، بل إن الشكر على النعمة ينبغى أن يكون من جنسها فى المضمون وفى النتيجة فكان (الصوم) الذى يعمل على تطهير القلوب والسمو بالأرواح .

وإذا علمنا أن الصوم فرض على الأمم السابقة ، فهل فرض على المسلمين صوم قبل رمضان ؟

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

(٢) سورة البقرة آية ١٨٥

ذهب الجمهور وبعض الشافعية ، إلى أنه لم يجب صوم على المسلمين قط قبل رمضان .

ومن أدلة الشافعية : حديث معاوية مرفوعا «لم يكتب الله عليكم صيامه(١) » ، وذهب الحنفية إلى أن أول مافرض صوم يوم عاشوراء ، فلما نزل رمضان نسخ ، واستدلوا بظاهر حديثي ابن عمر ، وعائشة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : صام النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك وكان عبد الله لايصومه إلا أن يوافق صومه : رواه البخاري ، وعن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان ، وقال رسول الله ﷺ : من شاء فليصمه ومن شاء أفطره . رواه البخارى ومسلم

وقد كان رسول الله ﷺ يصوم يوم عاشوراء فى مكة قبل الهجرة ، وبعد أن هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه، وهذا إنما كان عن وحى أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد إخبار الآحاد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ماهذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه ، رواه البخارى وفى رواية مسلم : هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه .

وقد فرض صوم رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة ، فنسخ وجوب صوم يوم عاشوراء على مذهب أبى حنيفة ، وعلى مذهب غيره نسخ تأكيد استحباب صومه .

---

(١) رواه البخارى وتمام الحديث «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر»

وقد ثبت وجوب صوم رمضان ، بالقرآن والسنة والإجماع ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، وفي هذه الرواية تقدم الحج على الصوم ، وذلك لأن في الحج بذلا للمشقة والمال ، وفي بعض الروايات قدم الصوم على الحج ، وذلك لأن الصوم أعم وجوباً من الحج .

والصوم معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه ، فهو كافر إلا إذا كان قريب عهد بالإسلام أو نشأ بعيداً عن أهل العلم .

تعريف الصيام لغة وشرعاً :

يطلق الصيام في اللغة على الإمساك مطلقاً ، سواء كان إمساكا عن طعام وشراب أو قول أو عمل ، ومن ذلك قوله تعالى : « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً » بمعنى : الإمساك عن الكلام والسكوت عنه .

وشرعاً : هو امساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية ، وعرفه البعض بأنه الإمساك عن شهوتي البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس بنية مخصوصة ، ويجب صوم رمضان ، إما بإكمال شعبان ثلاثين يوماً ، وإما برؤية الهلال ليلة الثلاثين ، لقول الرسول ﷺ « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

منزلة شهر رمضان

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر ، قالوا : حدثنا اسماعيل وهو ابن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين .

وحدثني حرملة بن يحيى أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن أبي أنس أن أباه حدثه أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت جهنم وسلسلت الشياطين .

اللغـــة

(إذا جاء رمضان) الرواية الثانية : إذا كان رمضان ، ... رواية أخرى . إذا دخل رمضان ، والمعنى : إذا ابتدأ رمضان ، وسمى برمضان لأنه وافق مجيئه فى الرمضاء ، وهى شدة الحر ، فسمى بذلك ، وقيل لأنه يرمض الذنوب ، أى يحرقها بمعنى يمحوها . وقيل : لأن القلوب تحترق فيه من الموعظة .

(فتحت أبواب الجنة) روى بتخفيف التاء فى « فتحت » وبتشديدها ، والتشديد يفيد الكثرة والمبالغة فى الفتح وكذلك بالنسبة إلى قوله تعالى : « وغلقت . . » بالتشديد : « وصفدت الشياطين » أى شدت بالأصفاد وهى الأغلال ، وهى بمعنى سلسلت ، والصفد بفتح الفاء الغل بضم الغين أى القيد

المعنى

يبرز هذا الحديث أسمى ما يتطلع إليه المسلم فى الدنيا والآخرة ، ويوضح أجل خصائص الشهر المبارك ، وأعظم علامات الخير فيه ، وهى تفتيح أبواب الجنة ، وإغلاق أبواب النار ، وتسلسل الشياطين .

وقد احتل شهر رمضان المبارك هذه المنزلة الجليلة فى الإسلام ، لما نزل فيه من القرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم ، وغير ذلك من الفيوضات الكثيرة .

فهو شهر الخير والبر ، والفضل والرحمة ، لو يعلم الناس مافى رمضان من الخير لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان ، ويمكن أن نوجز مقومات الخير فى شهر رمضان ، والتى من أجلها كانت له هـــذه المنزلة الجليلة فيما يأتى :

١ — ما تحدث عنه القرآن ، بقوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، فنزول القرآن هو أكبر نعمة وأعظم مقومات الخير التى جعلت للشهر مكانة عظيمة من بين الشهور ، وكما قال تعالى « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وما ورد كذلك فى السنة الشريفة : أن صحف ابراهيم أنزلت فى أول ليلة من رمضان ، وأن التوراة أنزلت لست مضين منه ، وأن الإنجيل أنزل لثلاث عشرة خلت منه .

٢ — ما تميزت به فريضة الصيام من خصائص جعلتها عبادة روحية صافية من أى رياء ، لأنها سر بين العبد وربه لايطلع عليه أحد سواه ، ولأن فيها إمتناعاً عن ملاذ النفس وشهواتها ، وكبحاً لجماحها .

٣ — ما أفاءه الله تعالى على الصائمين من فضل ، حيث ينزل عليهم الرحمة ، ويستجيب لهم الدعاء ، ويضاعف الأجر ، من تقرب فى رمضان

بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه .

وإذا كانت هذه هي منزلة الشهر العظيم ، فلا غرابة أن يحيطه الله تعالى بمكرمات عظيمة ، وبتقدير وإجلال . يليق بمنزلته كتفتح أبواب الجنة ، وإغلاق أبواب النار ، وتصفيد الشياطين .

ويحتمل في قوله : تفتح أبواب الجنة ثلاثة وجوه :

أولا — أن نحمل اللفظ على ظاهره وحقيقته ، وتكون هذه الأمور المذكورة — وهي تفتح أبواب الجنة ، وتغليق أبواب جهنم وتصفيد الشياطين — علامة لدخول الشهر ، وتكريماً له وتعظيما ، وفي حبس الشياطين في رمضان كف لهم عن إيذاء المؤمنين .

ثانياً — أن نحمل التعبير على المجاز ، فيكون فتح أبواب الجنة إشارة إلى كثرة الثواب ، وغلق أبواب النار إشارة إلى العفو ، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة إغوائهم ، فكأن حالهم أشبهت حال المصفدين ويكون هذا التصفيد خاصاً بناس دون ناس ، وعن أمور دون أمور ، ويؤيد هذه الرواية الثانية (وفتحت أبواب الرحمة) ، وجاء في حديث آخر : «صفدت مردة الشياطين » .

ثالثاً — أن تكون العبارة من قبيل المجاز المرسل : فأطلق « المسبب وهو تفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار وتصفيد الشياطين ، وأراد « السبب » وهو فعل الطاعات ، وعمل الخيرات ، والكف عن المعاصي والسيئات .

وإنما يستشعر كل هذا من صام صوماً حقيقياً ، وقد وضحت السنة الشريفة سمات الصوم الحقيقي المقبول ، وعلى ضوئها يمكن للصائم أن يستدرك

ما عليه عبادته ، ويتعرف على ثمرة طاعته ، وذلك بما تثمره عبادة الصيام مع الكف عن المعاصي ، وغرس الفضائل ، والتحلي بمكارم الأخلاق والصدق في القول والعمل ، أما إن ظهر كذب أو زور أو غير ذلك من الرذائل فنتيجة الصوم هي ما أخبر عنها النبي ﷺ في قوله «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» .

وقال بعض العلماء : يحتمل أن يكون المراد أن الشياطين هم مسترقوا السمع منهم وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه ، لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ .

وقال الطيبي : فائدة فتح أبواب السماء ، توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين ، وأنه من الله بمنزلة عظيمة . ا هـ ، من الفتح .

ويستدل بقول الرسول ﷺ (إذا جاء رمضان . . .) على أنه يجوز أن يقال (رمضان) من غير ذكر الشهر بدون كراهة ، وقد ذكر الإمام النووي ثلاثة مذاهب في هذه المسألة :

الأول — ما ذهب إليه أصحاب مالك بأنه لا يقال : رمضان دون تخصيصه ووصفه بشهر ، وزعموا أن رمضان اسم من أسماء الله تعالى فلا يطلق على غير الله إلا إذا كان مقيداً ، ولعلهم استندوا في ذلك على الحديث الذي رواه أبو معشر نجيح المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعا (لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان) .

وهذا الحديث أخرجه ابن عدي في الكامل ، وضعفه بأبي معشر ، قال البيهقي : قد روي عن أبي معشر عن محمد بن كعب وهو أشبه ، وروي عن مجاهد والحسن من طريقين ضعيفين .

الثانى : ماذهب إليه ابن الباقلانى وكثير من الشافعية ، إلى أنه إن كان هناك قرينة تصرفه إلى الشهر فلا يكره ، وإلا فيكره ، قالوا : فيقال ، صمنا رمضان ، قمنا رمضان . ورمضان أفضل الأشهر ، ويندب طلب ليلة القدر فى أواخر رمضان وأشباه ذلك ، ولا كراهة فى هذا كله ، وإنما يكره أن يقال : جاء رمضان ودخل رمضان ، وحضر رمضان وأحب رمضان ونحو ذلك . اهـ .

الثالث : ماذهب إليه البخارى والمحققون ، وهو أنه لا كراهة فى إطلاق رمضان بقرينة وبغير قرينة ، قال النووى : وهذا المذهب هو الصواب ، والمذهبان الأولان فاسدان ، لأن الكراهة إنما تثبت بنهى الشرع ولم يثبت فيه نهى ، وقولهم : إنه اسم من أسماء الله تعالى ليس بصحيح ، ولم يصح فيه شىء ، وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف ، وأسماء الله توقيفية لا تطلق إلا بدليل صحيح ، ولو ثبت أنه اسم لم يلزم منه كراهة . وهذا الحديث المذكور فى الباب صريح فى الرد على المذهبين ، ولهذا الحديث نظائر كثيرة فى الصحيح .

وقد ترجم البخارى فى صحيحه لهذا الحديث بقوله : باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ، وأشار بهذه الترجمة إلى حديث أبى معشر السابق وهو ضعيف ، واحتج البخارى على جواز المسألة بعدة أحاديث ، وقد ترجم النسائى لذلك أيضاً فقال : باب الرخصة فى أن يقال لشهر رمضان رمضان ، ثم أورد حديث أبى بكرة مرفوعا : (لا يقولن أحدكم صمت رمضان ولا قمته كله) وحديث ابن عباس (عمرة فى رمضان تعدل حجة) .

قال الحافظ ابن حجر : وقد يتمسك للتقييد بالشهر بورود القرآن به حيث قال : (شهر رمضان) مع احتمال أن يكون حذف لفظ شهر من

الأحاديث من تصرف الرواة ، وكأن هذا هو السر فى عدم جزم المصنف بالحكم . اهـ .

ومما سبق يتبين لنا أن البخارى والنسائى يقولان بجواز اللفظين جميعاً ، والذى تراه هو أن لكل أسلوب مفهوماً ، يتضح به المراد ، وليس معنى ورود (رمضان) فى القرآن مضافاً إليه (شهر) أن هذا لازم له فى جميع الأحوال ، فإن لكل مقام مقالا ، فالمقام فى الآية الشريفة يقتضى التعبير هكذا (شهر رمضان) وذلك لأن المراد بيان ما أنزل فى بعض أيام الشهر ، وهو القرآن الكريم كما هو مستفاد من قوله تعالى (الذى أنزل فيه القرآن) ، فورد رمضان فى الآية بالتقييد بشهر ، لأنه أراد هنا الظرفية ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم عن اللفظ ، فالمراد هو بيان ما أنزل فيه ، وفى بعض أيامه ولياليه ، وليس فى جميع أوقات الشهر فلذا كان أبلغ تعبير أن يقيده بما يفيد ذلك بقوله (شهر رمضان) وأما فى سائر الأحاديث النبوية التى يراد بها العمل فى الشهر كله وصيام جميع الشهر فإن التعبير فيها جاء بدون التقييد بكلمة شهر كما فى الحديث الذى معنا وغيره من الأحاديث الأخرى ، ومن ذلك :

١ — ما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد من حديث جابر : (من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذلك صيام الدهر) .

٢ — وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال (من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) رواه ابن ماجه .

فترى أنه قال فى الحديث الأول ، وفى الثانى : (من صام رمضان) ولم يقل (شهر) وذلك للدلالة على استغراق جميع أيام الشهر بالصوم . وقال سيبويه : « ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت الأحد أو الإثنين فإن قلت

يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً، ولم يجر مجرى المفعولات ، بزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله » اهـ .

ما يؤخذ من الحديث

١ — جواز أن يقال رمضان دون ذكر الشهر بلا كراهة .

٢ — بيان ما لشهر رمضان من منزلة جليلة في الإسلام ، وأنه أفضل الشهور عند الله تعالى .

٣ — استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الجنة في السماء ، وفي هذا نظر .

٤ — مضاعفة الأجر وتنزل الرحمة من الله تعالى إلى عباده الصائمين المخلصين في صيامهم .

٥ — حث الهمم واستنهاضها إلى اغتنام الأوقات المباركة بكثرة العبادة ، وصنائع المعروف ، والزيادة من الطاعة ، لاسيما في رمضان .

الصيام .. ورؤية الهلال

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه فإن أغمى عليكم فاقدروا له .

اللغة

(لا تصوموا حتى تروا الهلال) الهلال : هو غرة القمر ، أو الليلتين أو ثلاث أو سبع ، وتتحقق رؤية الهلال برؤية بعض المسلمين ، ولا يشترط رؤية كل إنسان ، كما سيأتى فى تفصيل ذلك . ومفعول الفعل محذوف ، لمعرفته من السياق وهو رمضان ، و « أل » فى الهلال للعهد . أى هلال شهر رمضان .

(ولا تفطروا حتى تروه) والضمير فى « ترى » مفعول به يعود على الهلال .

(فإن أغمى عليكم) أى حال الغيم بينكم وبينه ، وقد جاء هذا اللفظ بروايات أخرى :-

منها : « فإن غم عليكم فاقدروا له » وفى رواية أخرى : « فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً » وفى رواية أخرى : « فإن غمى عليكم فأكملوا العدد » وفى رواية : « فإن غمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين » وفى رواية : « فإن أغمى عليكم فعدوا ثلاثين » . وكلها روايات واردة فى صحيح مسلم متفقة فى معنى واحد ، ويقال غمى بتشديد الميم وتخفيفها مع ضم الغين فيهما .

ووردت رواية فى صحيح البخارى بلفظ : «فإن غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» بفتح الغين وتخفيف الباء، وهذا اللفظ مشتق من الغباوة وهى عدم الفطنة . وهو استعارة لخفاء الهلال ، ونقل ابن العربى أنه روى «عمى» بالعين المهملة من العمى ، قال : وهو بمعناه ، لأنه ذهاب البصر عن المشاهدات أو ذهاب البصيرة عن المعقولات .

(فاقدروا له) من التقدير ، بمعنى تدبير الأمر ، أو التروية فى تسوية الأمر ، أو بمعنى التضييق ، ومنه قوله تعالى : (فظن أن لن نقدر عليه) والمراد من قوله : فاقدروا له أى أكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما .

المعنى

فضل شهر رمضان

لما كان لشهر رمضان منزلته العظيمة فى الإسلام ، ومكانته الجليلة التى وضحها القرآن الكريم ، إذ أمر بصيامه ، وبين أنه شهر القرآن ، الذى ارتبطت به أجل الذكريات ، ففيه كان يتحنث(١) الرسول صلى الله عليه وسلم الأيام ذوات العدد ، وفيه صافح الوحى قلبه الشريف ، وتنزلت عليه أولى آيات القرآن فى الغار : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم(٢)) .

وهكذا عبقت الحياة بأولى نسمات الإسلام فى هذا الشهر المبارك ، فلا غرو أن يفرض الله تعالى صومه علينا ، ويوجهنا إلى أهميته ، ووجوب صومه على كل من شهده شكراً لله تعالى ، وطاعة لأمره ، إذ يقول :

---

(١) يتحنث : بمعنى يتحنف أى يتبع الحنيفية وهى دين إبراهيم ، وإبدال الفاء ثاء كثير فى كلامهم ، أو التحنث : إلقاء الحنث وهو الإثم كما فى يتأثم ويتحرج .

(٢) سورة العلق الآيات ١ — ٥ .

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه(١) أى من حضر منكم شهر رمضان فليصمه ، والمراد بالشهر :

إما أن يكون (الأيام) على معنى : فمن شهد بعضه ، فهو مجاز لغوى ، من إطلاق اسم الكل على الجزء ، حيث أطلق الشهر وهو اسم الكل وأراد بعضاً منه ، وقد فسره ابن عباس وعلى وابن عمر على أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه .

وإما أن يكون المراد (الهلال) على معنى : علمه عن طريق رؤيته له أو ثبوته عنده .

وهكذا نرى أن القرآن قد حدد ميقات صوم رمضان ، بأنه شهر ، وبثبوت حضور المسلم له ، وشهوده الهلال ، ومن قبل هذا قال تعالى : (أياماً معدودات) أى مؤقتات بعدد معين أقل من أربعين ، إذ العادة أنه متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك(٢) .

وإذا كان القرآن قد وضع ميقات الشهر المبارك ، فإن السنة الشريفة وضحت وفصلت تحديد الميقات ، وكيفية ثبوت رؤية الهلال ، فى قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ...) الخ .

ومعنى هذا : أن ثبوت رمضان لا يكون إلا برؤية الهلال ، وأن الشروع فى الصيام لا يكون إلا بعد الرؤية ، وكذلك الحال أيضا بالنسبة للفطر من رمضان لا يكون إلا عند رؤية هلال شوال .

ولكن هل متى ثبت هلال رمضان وجب الصوم مباشرة ؟ أم أن المراد صيام اليوم المقبل ؟

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٢) الفتوحات الإلهية جـ ١ ص ١٠٥ .

(١) الناظر إلى ظاهر الحديث يرى إيجاب الصوم بمجرد ثبوت الرؤية ليلا كان ذلك أو نهاراً ، ولكن الحقيقة أن اللفظ فى الحديث محمول على صوم اليوم المستقبل، فإذا ثبتت الرؤية أثناء يوم ما من الأيام فإن الصوم لا يجب إلا فى اليوم التالى المستقبل ولا يجب عليه الصيام مباشرة من حين ثبوت الهلال خلال يوم الرؤية . وهـذا هو الرأى الصحيح ، وهو ما عليه جمهور المسلمين .

(٢) وأما الشيعة : فقد خالفوا الإجماع وأوجبوا الصيام مطلقا ، فحملوا الحديث على ظاهره ، وأوجبوا الصيام عند رؤية الهلال مباشرة .

(٣) وفرق بعض العلماء بين ما قبل الزوال وما بعده .

وتثبت رؤية هلال رمضان برؤية بعض المسلمين له ، ولا يشترط فى الرؤية أن تكون من الجميع ، بل يكفى أن يشهد برؤية الهلال عدلان، وكذلك عدل واحد على الرأى الأصح هذا بالنسبة لصوم رمضان ، وأما بالنسبة لرؤية هلال شوال وهو ما يترتب عليه الفطر ؛ فإنه لا يكفى فيه عدل واحد إلا عند أبى ثور فإنه أجازه بعدل واحد .

وممن ذهب إلى قبول شهادة الواحد فى دخول رمضان ابن المبارك ؛ وأحمد بن حنبل والشافعى فى أحد قوليه ؛ ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر قال : ترامى الناس الهلال فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته فصام وأمر الناس بصيامه(١)) .

وما روى عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى رأيت الهلال ؛ يعنى رمضان ؛ فقال : أتشهد

لا إله إلا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال أذن فى الناس فليصوموا غداً(١) .

وذهب مالك والليث والأوزاعى والشافعى فى أحد قوليه والهادوية إلى أنه لا يقبل خبر الواحد ، بل لا بد من الاثنين ، واستدلوا أيضاً بحديثين :

الأول : عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه خطب فى اليوم الذى شك فيه فقال : ألا إنى جالست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءلتهم وأنهم حدثونى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته(٢) وانسكوا لها فإن غم عليكم فأتموا ثلاثين يوماً ، فإن شهد شاهدان مسلمان فصوموا وأفطروا(٣) .

والحديث الثانى : عن أمير مكة الحارث بن حاطب قال : عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننسك للرؤية فإن لم نره وشهد شاهدا عدل نسكنا بشهادتهما(٤) .

ويجمع بين الحديثين الأولين ، اللذين دلا على قبول الواحد ، وبين هذين الحديثين اللذين دلا على عدم قبول الواحد بل لا بد من شهادة اثنين : بتأويل الحديثين المتقدمين على احتمال أن يكون قد شهد أحد غير ابن عمر ، وغير الأعرابى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت شهادة اثنين لا شهادة واحد .

---

(١) رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة ، ورواه الخمسة إلا أحمد .

(٢) النسك : العبادة ، وكل حق لله سبحانه وتعالى .

(٣) رواه أحمد والنسائى .

(٤) رواه أبو داود الدارقطنى .

ولكن يرد هذا بأنه احتمال فيه تعسف، ولو صح تجويز ذلك، لكان مفضياً إلى طرح أكثر أحكام الشريعة التي ثبتت بخبر الواحد.

قال الشوكاني: وأجاب الأولون، بأن التصريح بالاثنين غاية ما فيه المنع من قبول الواحد بالمفهوم، وهذان الحديثان - حديث ابن عمر وابن عباس - يدلان على قبوله بالمنطوق، ودلالة المنطوق أرجح(١).

وهناك رأى ثالث عن الصادق وأبي حنيفة وأحد قولي المؤيد بالله أنه يقبل الواحد في الغيم لاحتمال خفاء الهلال عن غيره لا الصحو فلا يقبل فيه خبر الواحد بل لابد من الجماعة، لبعد خفائه.

والخلاصة: أن الأصح في دخول رمضان شهادة الواحد، وفي خروج رمضان شهادة الاثنين، ولعل الحكمة في ذلك هي زيادة الحيطة في أداء فريضة الصيام كاملة غير منقوصة: قال الشوكاني: ويمكن أن يقال: إن مفهوم حديث عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قد عورض في أول الشهر بما تقدم، أما في آخر الشهر فلا ينتهض ذلك القياس لمعارضته، لاسيما مع تأيده بحديث ابن عمر وابن عباس.

والمراد من قول الرسول صلى الله عليه الصلاة والسلام: «فإن أغمى عليكم فاقدروا له»: هو أن يقدروا له ثلاثين يوماً، بإكمال شعبان، وذلك عند حصول الغيم في السماء، وتعذر رؤية هلال شهر رمضان، وهذا ماذهب إليه مالك والشافعي وأبو حنيفة والجمهور.

- وذهب الإمام أحمد بن حنبل وغيره ممن أجاز صيام يوم ليلة الغيم عن رمضان، إلى أن المعنى المراد من قوله: (فاقدروا له): ضيقوا له

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني.

فقدروه تحت السحاب ، إلا أن هذا التأويل [illegible] بعيد عن المراد ، مخالف لمدلول الروايات الأخرى .

— وذهب ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون إلى أن معناه : قدروه بحساب المنازل .

وقال المازرى : حمل جمهور الفقهاء قوله صلى الله عليه وسلم : فاقدروا له على أن المراد كمال العدة ثلاثين ، كما فسره فى حديث آخر ، قالوا : ولا يجوز أن يكون المراد حساب المنجمين ، لأن الناس لو كلفوا به ضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه إلا أفراد والشرع إنما يعرف الناس بما يعرفه به جماهيرهم اهـ .

هذا والذى نميل إليه هو إكمال العدة عند الغيم ، فهذا ما يتفق مع سائر الروايات الأخرى ، وكذلك الحال أيضاً بالنسبة إلى هلال شوال إذا تعذرت رؤيته فيكمل رمضان ثلاثين يوماً .

وللإمام أحمد ثلاثة أقوال ، فيما إذا حال غيم دون مطلع الهلال ليلة الثلاثين من شعبان :

الأول : أنه يجب الصوم على أنه رمضان .

الثانى : لا يجوز فرضاً ولا نفلا مطلقاً ، بل قضاء وكفارة ونذراً ونفلا يوافق عادة ، وبه قال الشافعى ، وقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز عن فرض رمضان ، ويجوز عما سوى ذلك .

الثالث : المرجع إلى رأى الإمام فى الصوم والفطر(١) .

---

(١) فتح البارى جـ ٥ ص ٢٢ .

ما يؤخذ من الحديث

١ – أن رؤية الهلال هى الأساس بالنسبة لصيام رمضان والفطر منه .

٢ – إكمال عدة الشهر ثلاثين يوماً عند تعذر الرؤية بسبب الغيم .

٣ – فى الحديث دلالة لما ذهب إليه الجمهور والشافعى ومالك إلى أن لا يجوز صوم يوم الشك ، من شعبان عن رمضان إذا كانت ليلة الثلاثين بها غيم .

٤ – مكانة شهر رمضان فى الإسلام ، وعناية المسلمين باستقباله .

٥ – ثبوت رؤية هلال رمضان بعدل واحد ورؤية هلال شوال بعدلين على الأصح .

فضل الصيام وآدابه

قال الإمام مسلم رحمه الله : وحدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرازق أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه .

اللغــة

(وأنا أجزى به) أى أنا الذى أثيب الصائم لا غيرى ، ففيه قصر موصوف على صفة ، وهو من قبيل القصر الإضافى ، وحدوث القصر هنا من تكرار المسند إليه بتقديمه على الفعل .

(الصيام جنه) الجنة بضم الجيم : الوقاية والستر ، وقال صاحب النهاية ومعنى كونه جنة : أى يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات ، وقال القرطبى: جنة أى سترة يعنى بحسب مشروعيته فينبغى للصائم أن يصون صومه عن كل ما يفسده أو ينقص ثوابه .والصوم جنة : أى مانع من الرفث والآثام ومانع من النار ومنه المجن ، وهو الترس ، ومنه الجن لاستتارهم .

(فلا يرفث) المراد بالرفث هنا : الكلام الفاحش ويطلق عليه وعلى الجماع وعلى مقدماته ، وعلى ذكره مع النساء مطلقا أعم من ذلك أن الرفث شامل لكل فاحش أو فعل فاحش .

ويجوز في ماضي الفعل التثليث ، وفي مضارعه الضم والكسر . وفي رواية ، ولا يجهل أي لا يفعل ما يفعله الجهال كالصياح والسفه والجهل هو كل قول أو فعل خالف الحكمة والصواب .

(ولا يصخب) ويقال بالصاد « يصخب » وهو كثرة الصياح واللغط واضطراب الأصوات في الخصام .

(فإن سابه أحد أو قاتله) أي إن شتمه أحد أو نازعه واعتدى عليه ، وفي رواية : « وإن امرؤ قاتله أو شاتمه » وامرؤ فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : وإن قاتله أو شاتمه امرؤ . . .

(والذي نفس محمد بيده) أي روحه بقدرته ، وأقسم تأكيدا للخبر وعناية بشأنه ، والذي صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : والله الذي نفس محمد بيده .

(لخلوف فم الصائم) الخلوف هو تغيير رائحة الفم بسبب الامتناع عن الطعام والشراب ، وخلوف بضم الخاء واللام وهذه هي الرواية الصحيحة وقال البعض بفتح الخاء ، قال الخطابي : وهو خطأ ، وحكى بعضهم الوجهين .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : فيه رد على من قال لا تثبت الميم في الفم عند الإضافة إلا في ضرورة الشعر لثبوته في هذا الحديث الصحيح وغيره .

(وللصائم فرحتان يفرحهما) أي يفرح بهما لحذف حرف الجر ووصل الضمير .

المعنى

هذا الحديث من الأحاديث القدسية . وقد روى بإحدى طريقتى الرواية للحديث القدسى وهى : «قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل» أو « قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه قال : » .

والطريقة الثانية لرواية الحديث القدسى : أن يقال : قال الله تعالى فيما يرويه عنه رسوله ﷺ) .

وتتميما للفائدة أورد هنا الفرق بين كل من الحديث القدسى والقرآن ، والفرق بين الحديث القدسى والحديث النبوى .

الفرق بين الحديث القدسى والقرآن :

١ — أن الحديث القدسى ما كان لفظه من عند النبى صلى الله عليه وسلم على رأى البعض ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام بوحى جلى أو لا . وأما القرآن فهو ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى . بمعنى : أن ينزل به جبريل عليه السلام بلفظه ومعناه من عند الله سبحانه فى اليقظة وليس فى المنام ولا بالإلهام .

٢ — الحديث القدسى تصح روايته بالمعنى . أما القرآن فتحرم روايته بالمعنى .

٣ — الحديث القدسى لا يتعبد بقراءته أما القرآن فيتعبد بقراءته ويتعين فى الصلاة ولا كذلك الحديث القدسى .

٤ — إن القرآن الكريم معجزة خالدة متواتر اللفظ فى كلماته وحروفه وأساليبه . أما الأحاديث القدسية فليس لها هذا التواتر . وليست بمعجزة .

٥ — أن القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه . وعلى الجنب تلاوته ومسه بخلاف الأحاديث القدسية .

الفرق بين الحديث القدسي والنبوي : هو أن الحديث القدسي مقطوع بنزول معناه من عند الله تعالى لما ورد فيه من النص الشرعي على نسبته إلى الله بقول الرسول صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى كذا، فلذا سمي قدسياً أما الحديث النبوي فلم يرد فيه هذا النص ، لأن منه ما هو (توقيفي) مستنبط بالاجتهاد والرأي من كلام الله والتأمل في حقائق الكون ، وهذا ليس كلام الله . ومنه ما هو (توقيفي) جاء به الوحي إلى الرسول ﷺ فبينه للناس بكلامه وهذا القسم وإن كان مرجعه إلى الله تعالى الملهم والمعلم إلا أنه لما كان من قول الرسول ﷺ كان حرياً أن ينسب إليه . ويطلق على القسمين حديثاً نبوياً وقوفاً بالنسبة عند الحد المقطوع به .

وقد أشار هذا الحديث إلى ثلاثة مقاصد من أهم مقاصد الصوم وهي :

١ — تكفل الله تعالى بجزاء الصائمين .

٢ — ثمرات الصيام . ٣ — فرح الصائم .

أما بالنسبة الأولى . وهو تكفل الله تعالى بجزاء الصائمين : فذلك في قوله : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام . فإنه لي وأنا أجزي به) وقد أضاف الله تعالى الصوم إلى نفسه . تشريفاً لهذه العبادة . وتكريماً للقائمين بها . وللعلماء آراء في إضافة الصوم إلى الله تعالى . أوردها الإمام النووي رحمه الله . قال : اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى . فقيل سبب إضافته إلى الله تعالى . أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به . فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام . وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك .

وقيل : لأن الصوم بعيد عن الرياء لخفائه . بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها من العبادات الظاهرة .

وقال الخطابي : لأنه ليس للصائم ونفسه فيه حظ .

وقيل : إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء .

وقيل : معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه ، أو تضعيف حسناته وغيره من العبادات أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها .

وقيل : هي إضافة تشريف ، كقوله تعالى (ناقة الله)(١) مع أن العالم كله لله تعالى . اهـ .

وقيل : لأن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام ، ولكن يرد هذا القول بحديث : (المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا) الحديث . فعلى ذلك فالصيام مشترك مع غيره من العبادات .

ونرجح أن الصوم عبادة لا يدخل فيها الرياء ، والمعنى ، أن كل عمل من أعمال الخير والطاعة يحصل صاحبها على حظ منها بشيئها ، لأنها ظاهرة إلا الصوم ، فإنه لا يدخل فيه الرياء بالفعل نعم قد يدخل في الصوم الرياء بالقول لكن يخبر عن نفسه مثلا بأنه صائم ، فيكون الرياء فقط من جهة الأخبار بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها .

وبمقابلة هذه الآراء العلمية بعضها ، يمكننا استظهار ما تميزت به هذه العبادة من الفضل ، وأن جميع الآراء ، لا تختلف في أن الإضافة إلى الله سبحانه تفيد تشريفها ، ومضاعفة الثواب لأصحابها ، يدل على ذلك قوله في الحديث — بعد هذا — (وأنا أجزي به) وإذا كان الذي تكفل بالجزاء

---

(١) سورة الشمس آية ١٣ .

هو الله تعالى ، فهو لاشك جزاء وفير وعظيم ، ولا نظير له ، عن أبي أمامة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : مرني بعمل يدخلني الجنة قال : (عليك بالصوم فإنه لاعدل له) ثم أتيته الثانية فقال : (عليك بالصوم) رواه البخارى ومسلم .

ثانياً : أما بالنسبة للمقصد الثاني الذي أشار إليه الحديث ، وهو ثمرة الصوم ، فقد بينها بقوله :(والصيام جنة) ، فالصيام وقاية ومانع من النار ، ومن كل عمل يقرب إلى النار ، وهو أيضاً مانع من الرفث والآثام ، وتظهر وقاية الصوم للمسلم من النار بمغفرة الله لما تقدم من الذنوب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه) .

كما تظهر وقاية الصوم أيضا ، حين يشفع لصاحبه ، عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان)(١) .

ويترتب على وقاية الصوم لصاحبه ، أن يكفه عن (الرفث) وهو فعل الفحش والكلام الفحش، وأن يكفه عن الصخب، ويقال بالسين والصاد(الصخب) وهو كثرة اللغط والصياح ، بل ولا يرد على من سابه ، فإن الصوم يسمو بصاحبه إلى درجة العفو عمن أساء فيذكره وقته بما هو متلبس به من عبادة عظيمة (فإن سابه احد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم) .

ولكن التعبير بقوله : فإن سابه أحد أو قاتله يفيد ظاهره المفاعلة ،

---

(١) رواه أحمد والنسائى والحاكم .

وهي تقتضي وقوع الفعل من الجانبين فكيف يكون ذلك مع أن الصائم لاتصدر منه مثل هذه الأفعال خصوصاً المقاتلة ؟

والجواب على هذا هو أن المراد بالمفاعلة هنا : التهيؤ لها ، والمعنى إذا تهيأ أحد لمشاتمة غيره أو مقاتلته ، فليقل إني صائم ، قال الحافظ ابن حجر : فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه ، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف ، وقال : فالمراد من الحديث أنه لايعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله إني صائم ، اهـ أو أن المراد : إرادة غير الصائم ذلك من الصائم أو أن المفاعلة تقع بفعل الواحد وهل يقول « إني صائم » مخاطباً بها من يكلمه ، أم يقولها لنفسه ؟

رجح الإمام النووي : أنه يخاطب بهذا القول من يكلمه ، وقال كل منهما - أي مخاطبة نفسه ، ومخاطبة غيره - حسن والقول باللسان أقوى ولو جمعهما لكان حسناً .

وذهب بعض العلماء إلى أنه يقول ذلك في نفسه .

وقال الروياني : إن كان في رمضان فليقل بلسانه ، وإن كان في غيره فليقل ذلك في نفسه .

وادعى ابن العربي أن موضع الخلاف في التطوع وأما في الفرض فيقوله بلسانه قطعاً .

ونقل الزركشي أن المراد بقوله : فليقل إني صائم مرتين ، يقوله مرة بقلبه ومرة بلسانه فيستفيد بقوله بقلبه كف لسانه عن خصمه وبقوله بلسانه كف خصمه عنه ، وتعقب بأن القول حقيقة إنما باللسان ، وأجيب : بأنه لايمنع المجاز .

والذي نرجحه : هو القول باللسان والقلب معاً فيقولها لصاحبه ولنفسه

لأن مرة هذا القول فى كف غيره عنه . وتذكير نفسه وصاحبه بما عليه الصائم من عبادة تتنافى مع كل خلق سىء ، فإنه ينبغى على الصائم أن يكون عف اللسان عف الجوارح طاهر الظاهر والباطن ، متمثلا بالخلق الإسلامى الرفيع ، ففى الصيام تربية لملكة المراقبة ، وسمو بالقيم الأخلاقية فى المسلم ، ولذا يكرر هذا اللفظ إنى صائم مرتين ليتأكد الزجر والانتهاء عن كل ما يسىء إلى العبادة .

ومن ثمار الصيام كذلك : أن جعل الله تعالى خلوف فم الصائم ، وهو تغير الفم أطيب عند الله من رائحة المسك ، وفى هذا توضيح لجزاء الصائم ومنزلته السامية عند ربه سبحانه وتعالى ، وهذا التعبير فى استطابة الرائحة عند الله ، إنما هو لتقريب المعنى ، فقد جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة من الناس ، فاستعير ذلك فى الصوم لتقريبه من الله ، ففيه كناية عن القبول والرضا ، حيث أطلق الملزوم ، وهو استطابة ريح المسك وأراد اللازم ، وهو القبول والرضا ، وإلا فإن الله منزه عن كل ما يشبه الحوادث .

وفى ذلك بيان بأن الصائم قريب من ربه .

وقيل : يجازيه به الله تعالى فى الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك .

وقيل : إن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندكم .

وقيل : يحصل لصاحبه من الثواب أكثر مما يحصل لصاحب المسك .

وقيل : « رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك عندنا . وإن كانت رائحة المسك عندنا خلافه » .

والذى نرجحه هو أن المراد بذلك : أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك الذى ندب إليه فى الجمع والأعياد ومجالس الحديث والذكر . . وقد احتج العلماء على كراهة السواك للصائم بعد الزوال . لأنه يزيل الخلوف فكما أن الشهيد يترك غسله محافظة على بقاء الدم المشهود له بالطيب فكذلك يترك السواك - وهو غير واجب - للمحافظة على بقاء الخلوف المشهود له بذلك .

ثالثاً : المقصد الثالث ، الذى أشار إليه الحديث الشريف ، هو فرح الصائم وفرح الصائم نوعان :

١ — فرح فى الدنيا .

٢ — فرح فى الآخرة .

أما فرحة الصائم فى الدنيا ، فعند فطره ، وذلك لتمام عبادته، وقيامه بها على أكمل وجه ، وما يرجوه من ثواب عند الله عظيم وما أفاءه عليه ربه خلال شهره المبارك من رحمات حيث فتحت أبواب الجنة ، ومن أمان وطمأنينة حيث صفدت الشياطين . وكذلك فرحه الفطرى حين يزول الجوع ويذهب الظمأ ، ومع هذا وذاك فإن سعادته النفسية ، والرضا الروحى الذى يحسه عند الفطر يجعله فى فرحة عظيمة يستبشر معها بنعمة من الله وفضل ، ورحمة منه ومثوبة .

وأما فرحه فى الآخرة : فذلك عند لقاء ربه تعالى ، حيث ينال الجزاء الأوفى ، ويذكر فضل الله عليه ، بتوفيقه إلى هذه العبادة المقبولة ، بل إن ربه يجزيه يوم القيامة بمنزلة جليلة ، لا يحظى بها سوى الصائمين فيحظى برى لا ظمأ بعده تعويضاً له عن عطشه فى الدنيا .

عن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال : « إن الجنة باباً يقال له الريان ، يقال يوم القيامة : أين الصائمون؟ فإذا دخل آخرهم أغلق الباب(١)» وفضل الله تعالى عليهم عظيم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

ما يؤخذ من الحديث

١ — فضل الصيام وماله من أثر في تقويم النفس الإنسانية وإصلاحها .

٢ — بيان ماينبغي أن يكون عليـــه الصائم من مكارم الأخلاق ، وما يجب أن يلتزم به من آداب في السلوك .

٣ — أثر الصيام في الآخرة ، وما يعد للصائمين من جزيل الفضل والمثوبة فرضاً كان الصيام أم نفلا .

٤ — دعوة الإسلام إلى القيام بسائر العبادات على أساس من الإخلاص وأن الطاعة القائمة على الإخلاص لها عند الله جزاء عظيم .

٥ — الحث عن الصوم ، لما له من فضل عند الله تعالى .

٦ — وفي قوله : (أطيب من ريح المسك) ما يفيد أن الخلوف أسمى من درجة الشهادة في سبيل الله ، فإن دم الشهيد شبه فقط بريح المسك وأما الخلوف فوصف بأنه أطيب منه ، واصل السبب في هذا هو أن أصل الخلوف لم الصائم وهو طاهر ، وأما الدم فبخلافه فكان ما أصله طاهر أطيب من غيره قال ابن حجر : ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة .

ونرى إضافة إلى ماسبق أن الصوم هو أحد أركان الإسلام التي بني عليها وهو فرض عين ، أما الجهاد ففرض كفاية ، وقد يكون فرض عين ، ومعلوم ما كان فرض عين مطلقا وهو الصوم أفضل من فرض الكفاية على الراجح كما نص عليه الشافعي .

استحباب اختصاص بعض الأيام بالصوم

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى :

وحدثني يحيى بن يحيى التميمي وقتيبة بن سعيد جميعاً عن حماد ، قال يحيى : أخبرنا حماد بن زيد عن غيلان عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى عمر رضي الله عنه غضبه قال : رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، فجعل عمر رضي الله عنه يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه فقال عمر : يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ قال : لاصام ولا أفطر ، أو قال : لم يصم ولم يفطر ، قال : كيف من يصوم يومين ويفطر يوما ؟ قال : ويطيق ذلك أحد ؟ قال : كيف من يصوم يوما ويفطر يوما ؟ قال : ذاك صوم داود عليه السلام ، قال : كيف من يصوم يوما ويفطر يومين ؟ قال : وددت أني طوقت ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله ، صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله .

اللغة

(عن أبي قتادة رجل أتى النبي ﷺ رجل بالرفع على أنه وقع خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير : الشأن والأمر رجل أتى النبي ﷺ وفي بعض النسخ : (أن رجلا أتى) قال النووي : وقد أصلح في بعض النسخ (أن رجلا أتى) وكان موجب هذا الإصلاح جهالة انتظام الأول .

(رضينا بالله رباً ، وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً) أى قنعنا واكتفينا بذلك ، ولم نطلب أحداً غيره ، فلا إله إلا الله ، ولا مقصود سواه ، ولا دين إلا الإسلام الذى ارتضاه الله لنا ، ولا شريعة إلا شريعة الرسول ﷺ .

(وددت أنى طوقت ذلك) أى وددت أن أمتى تطيقه أو أنه قال ذلك مع قدرته عليه وطاقته به نظراً لما يتعلق به من حقوق أزواجه . والقيام بمهام الرسالة والتبليغ وغير ذلك مما قد يحول دون القيام بهذا النوع من الصيام ، على سبيل الدوام . و « الطوق والطاقة » بمعنى واحد ، أطاق الشىء إطاقة : فهو فى طوقه : أى فى وسعه .

(أحتسب على الله) أى أرجو الله سبحانه وتعالى ، وأعد ذلك من فضله ، وفى حديث آخر : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . . . » .

قال الخطابى : قوله « إيماناً واحتساباً أى نية وعزيمة » ، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه ، غير كاره له ولا مستثقل لأيامه . وقال البغوى : احتساباً : أى طلباً لوجه الله تعالى وثوابه يقال : فلان يحتسب الأخبار ويتحسبها أى يتطلبها . وجميع هذه المعانى متفقة فى أن تكون هذه العبادة خالصة لله تعالى ولا رياء فيها ، ويقال : احتسبت بكذا أجراً عند الله تعالى ، والاسم الحسبة وهى الأجر .

(عاشوراء) المشهور فى اللغة أنه ممدود وحكى قصره .

المعنى

سن الرسول ﷺ فى هذا الحديث منهجه الحكيم فى المحافظة على طريق العبادة ، والاعتدال فيها دون إفراط أو تفريط ، ومن أجل هذا حرص على بيان أحكام الشريعة فى إطارها المعتدل دون تشديد على المسلمين، بل إنه كان يكره السؤال عن بعض الأمور التى يخشى منها الغلو ، أو الإفراط فكان يقول . « عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) ويقول : (الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا . .)(١).

وليس فى هذا المنهج النبوى الحكيم ما يتعارض مع التأسى بالرسول ﷺ والاقتداء به فى جميع أفعاله ، وإنما هو تقوية وتأكيد للاقتداء به ، وذلك لأن الاقتداء الكامل إنما يكون باستمرار العمل والمداومة على العبادة ، وذلك إنما يتحقق بأن يباشر المسلم من أنواع الطاعات ما يمكنه مواصلة القيام به ، فإذ أخذ الإنسان نفسه بالكثير من أمور العبادة وتغالى فيها ، ترتب ذلك تقصيره وعدم استمراره لما يتولد عن الغلو من الضعف الجسمى الذى يلحقه .

وفى هذا الحديث : توجه رجل إلى رسول الله ﷺ بسؤال أراد أن يتزن من وزانه على كيفية صوم الرسول ﷺ ومقداره ، فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد قيل فى سبب غضبه :

إنه كره مسألته ، لأنه يحتاج إلى أن يجيب السائل ، ويخشى أن تترتب مفسدة على تلك الإجابة ، فربما يعتقد السائل فيما أجابه عليه أنه أمر واجب

---

(١) روى هذين الحديثين كل من البخارى ومسلم .

الأداء ، أو يرى أنه قليل أو يقتصر عليه دون غيره ، مع أن حال السائل تقتضي أكثر من ذلك أما بالنسبة للأمر الأول : فهو أن السائل ربما يعتقد الوجوب ، فيقوم بأداء العمل عن خطأ ، حيث اعتقد أنه واجب فقام بأدائه ، وبمرور الزمن لم يستمر على ذلك ، فأدى به الحال إلى التقصير ، كمن ابتدعوا الرهبانية فلم يفوا بشيء منها .

قال الله تعالى :(ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) .

وفي كثير من الأحوال كان الرسول ﷺ لا يجيب السائلين . ويقول: لو قلت نعم لوجبت ، وذلك ليمهد طريق اليسر في الدين عن أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال النبي ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . .)(١).

وأما بالنسبة للأمر الثاني: فهو أن السائل قد يستقل صيام الرسول ﷺ ويعرض عما عليه الرسول ﷺ ، ويشدد على نفسه فيكون قد خالف طريقته كما هو حال الرهط الذي سألوا عن أعماله ﷺ في السر واعتزموا على التشديد فأنكر عليهم وقال :(فمن رغب عن سنتي فليس مني) .

وأما بالنسبة للأمر الثالث : فهو أن السائل قد يقتصر على ما علمه دون غيره مع أن حاله تقتضي أن يصوم أكثر من ذلك ، فيكون بهذا قد حرم نفسه من زيادة الثواب .

واللائق بحال السائل أن يستفسر عما يخص نفسه حتى يكون الجواب على

---

(١) رواه مسلم ، وأحمد والنسائي ، وبقية الحديث : (ذروني ما تركتكم) وفي لفظ : (ولو وجبت ما قمتم بها) .

حسب مقتضى حاله، كما حدث مع كثير ممن سألوا رسول الله ﷺ واستفسروا منه عن كثير من الأحكام فكان يجيبهم بما يتناسب وأحوالهم.

وفي قول سيدنا عمر رضي الله عنه: (رضينا بالله رباً... إلخ)، بيان لما كانوا عليه من قوة في العقيدة، ومن حب لله ولرسوله ﷺ، ومازال سيدنا عمر رضي الله عنه يكرر العبارة حتى ذهب الغضب عن الرسول ﷺ، ثم توجه بالسؤال المناسب، والصيغة المقبولة التي لا غبار عليها. ليقف على ما يحبه الرسول ﷺ من العبادة، وليقف غيره من الذين لا يعرفون حكم مثل هذه الأيام وأفضلية الصوم في مثل هذه المقامات.

وكان السؤال الأول هو كيف بمن يصوم الدهر كله؟

فأجاب الرسول ﷺ بقوله: لا صام ولا أفطر، أو قال: لم يصم ولم يفطر على الشك من الراوي، وفي رواية: أو ما صام وما أفطر.

حكم صيام الدهر:

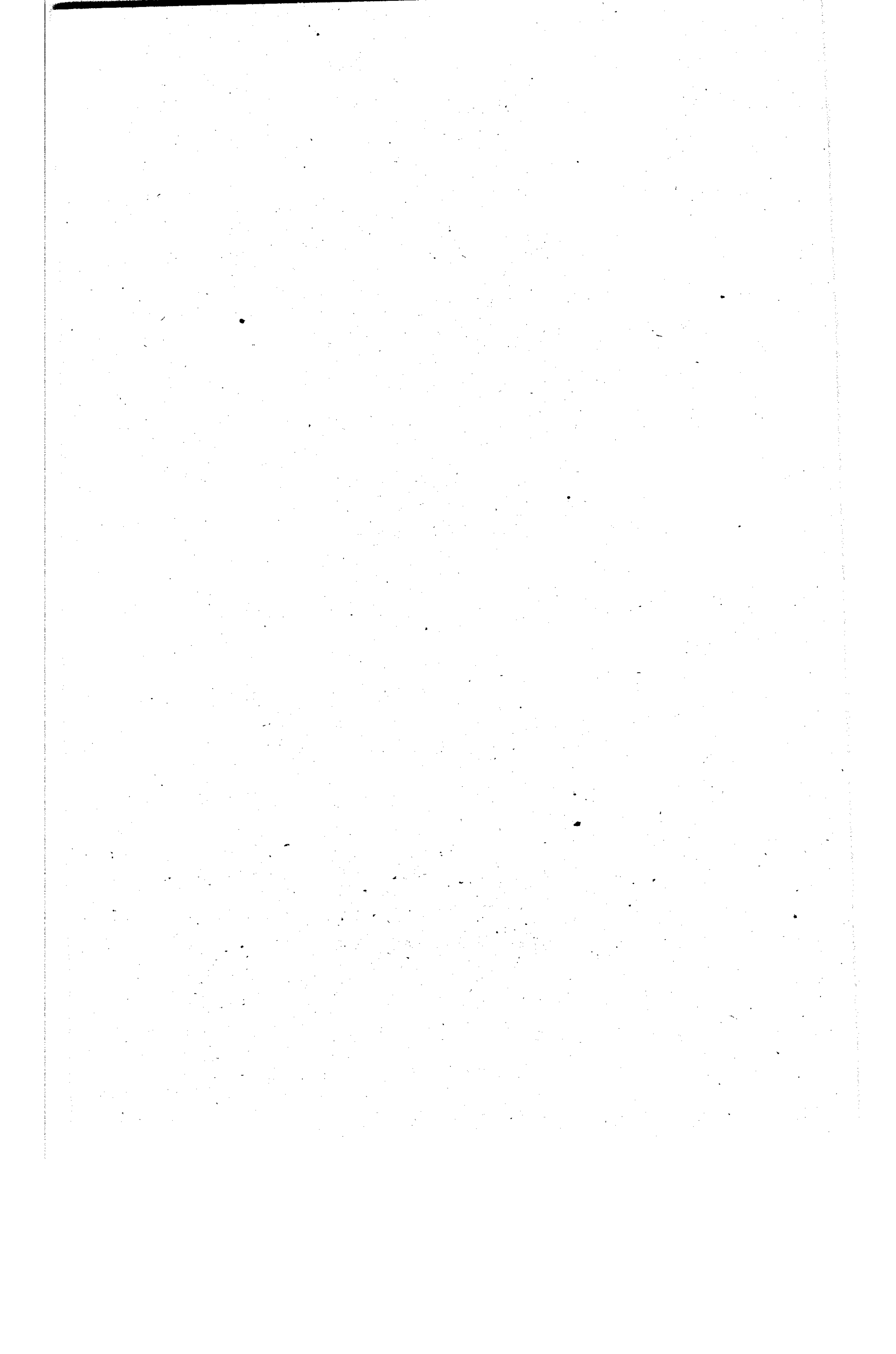
وقد اختلف العلماء في حكم صيام الدهر:

١ - فذهب الجمهور إلى جواز صيامه. بشرط ألا يصوم الأيام المنهي عن صيامها، كالعيدين وأيام التشريق الثلاثة.

٢ - وذهب الشافعي وأصحابه إلى أن سرد(١) الصيام، إذا أفطر العيدين وأيام التشريق الثلاثة، لا كراهية فيه، بل يكون مستحباً، بشرط ألا يلحقه به ضرر، ولا يفوت حقاً، فإن تضرر أو فوت حقاً فكروه، واستدلوا على ذلك بحديث حمزة بن عمرو، قال: يا رسول الله إني أسرد الصوم أفأصوم في السفر؟ فقال. إن شئت فصم(٢).

---

(١) سرد الصيام: تابعه (٢) رواه البخاري ومسلم.



حكم من يصوم يوما ويفطر يوما :

والسؤال الثالث هو: كيف من يصوم يوما ويفطر يوما ؟ فأجاب الرسول ﷺ بقوله : « ذاك صوم داود عليه السلام » . وصوم داود هذا ليس فيه ما يشق على النفس كما هو الحال بالنسبة لمن يصوم الدهر أو يصوم يومين ويفطر يوما ، ولهذا كان أفضل أنواع الصيام وأعظمها عند من يستطيع القيام به : وقد ورد وصف صوم داود بأنه أحب الصيام :

قال رسول الله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما(١) » . وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ، « .. صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام ، قال: قلت فإني أطيق أفضل من ذلك ، قال رسول الله ﷺ : لا أفضل من ذلك ، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلى من أهلي ومالي) رواه مسلم . واختلف العلماء في ذلك :

فذهب بعضهم إلى أن صوم يوم وإفطار يوم أفضل من السرد ، لظاهر هذا الحديث .

وذهب آخرون : إلى تفضيل السرد ، وتخصيص هذا الحديث بعبد الله ابن عمرو ومن في معناه ، أي من تتناسب أحوالهم وظروفهم مع هذا المقدار من الصوم ، فكان تقدير الكلام : (لا أفضل من هذا في حقك) ومما يؤيد هذا ويرجحه : أن الرسول ﷺ لم ينه حمزة بن عمرو عن السرد ، وأرشده إلى يوم ويوم ، ولو كان أفضل في حق كل الناس لأرشده إليه وبينه له ، فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز(٢) اهـ .

---

(١) رواه مسلم .   (٢) صحيح مسلم بشرح النووي .

حكم من يصوم يوما ويفطر يومين :

قال سيدنا عمر رضى الله عنه : كيف من يصوم يوما ويفطر يومين ؟ قال عليه الصلاة والسلام : (وددت أنى طوقت ذلك) ، والمراد بهذه الإجابة أحد أمرين :

١ – إما أن يكون الرسول ﷺ كان يطيق ذلك ، بطبيعته ، ولكنه قال ذلك بالنسبة لما يتعلق به من حقوق نسائه ، وما يقوم به من تبليغ الرسالة وملاقاة الوفود وتعليم الناس وغير ذلك من الحقوق ، فقد كانت هذه الأعمال الكثيرة الهائلة ربما لا تمكنه من أن يصوم – على سبيل الاستمرار – يوما ويفطر يومين .

٢ – وإما أن يكون المراد ، وددت أن أمتى تطوقه ، لأنه ﷺ كان يطيق ذلك وأكثر منه ، يؤكد هذا المعنى ويرجحه :

أنه ﷺ كان يواصل ، ويقول : (لست كأحدكم إنى أبيت عند ربى ، يطعمنى ويسقينى) ومعنى ذلك أن الله تعالى يجعل فى الرسول ﷺ قوة الطاعم الشارب فهى قوة كقوة من يطعم ويشرب .

وقيل : هو على ظاهره وأنه يطعم من طعام الجنة كرامة له . والأصح المعنى الأول ، وهو أنه فى قوة الطاعم الشارب ، والدليل على ذلك : أنه لو أكل حقيقة لم يكن مواصلا ، وأيضا : فى رواية أخرى : (إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى) وكلمة (ظل) لاتكون إلا فى النهار . والأكل فى النهار لايجوز للصائم .

ومما يدل على أن المراد بقوله : (وددت أنى طوقت ذلك) أمته ما جاء فى الرواية الثانية فى صحيح مسلم : (ليت أن الله قوانا لذلك) .

حكم صيام ثلاثة أيام من كل شهر :

قال ﷺ — بعد ذلك — : (ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله) أى أن الله تعالى يكتب لمن يحافظ على صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويحافظ على صوم رمضان حتى يأتى رمضان الذى بعده دون أن يكون من الماضى شىء عليه ، يكتب الله تعالى لمن يحافظ على ذلك ثواب صيام الدهر لأن الله تعالى يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، وقد ذهب بعض العلماء إلى تعيين الأيام الثلاثة بأنها فى أول الشهر ، وذهب آخرون إلى أنها فى آخر الشهر .

والمعتمد هو أنها الأيام البيض : وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر .

والأصح فى معنى الأيام البيض : ان المراد بها الليالى التى يكون [illegible] القمر من أول الليل إلى آخره ، قال الجواليقى : من قال الأيام البيض بجعل البيض صفة الأيام فقد أخطأ قال فى الفتح : وفيه نظر لأن اليوم [illegible] هو النهار بليلته ، وليس فى الشهر يوم أبيض كله إلا هذه الأيام ، لأن [illegible] بيض ونهارها أبيض فصح قول الأيام البيض على الوصف(١) اهـ .

وأما ما روى عن معاذة العدوية أنها سألت عائشة زوج النبى ﷺ أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم ، فقلت لها من أى أيام الشهر كان يصوم ؟ قالت : لم يكن يبالى من أى أيام الشهر يصوم .

فلعل رسول الله ﷺ لم يواظب على صيام ثلاثة [illegible] معينة [illegible] شهر حتى لا يظن أنها معينة ، ولكنه قد نبه بحديث آخر على [illegible]

---

(١) فتح البارى لابن حجر جـ ٥ ص ١٢٦ ط الحلبى

في قوله ﷺ لعمران بن حصين (أو قال لرجل وهو يسمع) يا فلان أصمت من سرة هذا الشهر؟ قال لا، قال: فإذا أفطرت فصم يومين. قال النووي: فكأنه يقول: يستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر وهي وسطه وهذا متفق على استحبابه وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر. وقيل: هي الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر. اهـ

حكم صيام يوم عرفة:

ثم قال الرسول ﷺ: (صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده) أي اعتد ذلك عند الله تعالى فضلا منه وإحسانا، ومكرمة منه تعالى بمغفرة ذنوب ما مضى في السنة التي ولت وما يأتي في السنة التي تقبل.

والمراد بالذنوب التي يكفرها صوم هذا اليوم؛ هي الذنوب الصغائر، وقد ورد في السنة أسباب كثيرة لتفكير الذنوب سوى هذا، منها: الوضوء، والصلاة. والجمعة إلى الجمعة، وإذا وافق تأمين الملائكة وغير ذلك، ويتم تكفير الذنوب على ذلك، بأن كل واحد من هذه المذكورات صالح للتفكير فإن وجد ما يكفره من الذنوب الصغائر حصل التفكير لها وتم غفرانها، وأما إذا لم يصادف صغيرة من الصغائر ولا كبيرة من الكبائر كتبت به حسنات، ورفع المسلم بسبب تلك الطاعة درجات، وأما إذا صادفت تلك الطاعة — وهي صوم عرفة مثلا أو غيره من الطاعات — معصية كبيرة، ولم توجد صغائر فيرجى من فضل الله ورحمته أن يخفف بسببها من الكبائر والله ذو الفضل العظيم.

هذا وقد روى البخاري بسنده عن أم الفضل بنت الحارث أن ناسا تماروا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ، فقال بعضهم: هو صائم. وقال بعضهم: ليس بصائم. فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه.

وروى بسنده — أيضاً — عن ميمونة رضي الله عنها : أن الناس شكوا في صيام النبي ﷺ يوم عرفة فأرسلت إليه بحلاب وهو واقف في الموقف ، فشرب منه والناس ينظرون(١) .

ويجمع بين هذين الحديثين : وبين حديث أبي قتادة الذي معنا بحمل صوم يوم عرفة على غير الحاج ، أو على من لم يضعفه الصوم على القيام بالذكر والدعاء المطلوب وسائر العبادات المستحبة ، وللعلماء في ذلك مذاهب :

١ — مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة والجمهور : هو استحباب فطر يوم عرفة بعرفة للحاج ، وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وابن عمر والثوري .

٢ — ذهب بعض السلف ويحيى بن سعيد الأنصاري إلى وجوب فطر يوم عرفة للحاج ، أخذاً بظاهر بعض الأحاديث ، فقد ثبت أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة(١) .

٣ — وعن ابن الزبير وأسامة بن زيد وعائشة أنهم كانوا يصومونه وكان ذلك يعجب الحسن ويحكيه عن عثمان .

٤ — وقال قتادة : لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء ، ونقله البيهقي في المعرفة عن الشافعي في القديم .

٥ — وقال الطبري : إنما أفطر رسول الله ﷺ بعرفة ليدل على الاختيار للحاج بمكة لكيلا يضعف عن الدعاء والذكر .

---

(١) الحديثان : رواهما البخاري ومسلم ، ويحتمل التعدد ، بأن تكون أم الفضل أرسلت إليه وميمونة أيضاً أرسلت إليه ، ويحتمل أنهما أرسلتا معاً فنسب الفعل إلى كل منهما .

(٢) رواه أبو داود والنسائي ، وصححه ابن خزيمة والحاكم من طريق عكرمة .

٦ - وقيل : إنما كره صوم يوم عرفة ، لأنه يوم عيد لأهل الموقف لاجتماعهم فيه ، ويؤيده ما رواه أصحاب السنن عن عقبة بن عامر مرفوعاً . « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام » .

وترجح رأى الجمهور، وهو استحباب فطر يوم عرفة للحاج، لما يترتب على الفطر من القدرة على استغراق سائر اليوم بالكثير من العبادة والذكر ، بل إن بعض العلماء رأى أن ذاكر هذا اليوم إذا أفطر كان له مثل أجر الصائم ، قال عطاء « من أفطره - أى يوم عرفة - ليتقوى به على الذكر كان له مثل أجر الصائم » .

حكم صيام يوم عاشوراء :

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله) . أى أن صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب السنة السابقة فحسب ، وقد قيل فى سبب زيادة منزلة يوم عرفة على يوم عاشوراء ، حيث إن صوم يوم عرفة كان أفضل لأنه يكفر سنتين ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة واحدة ، قيل. إن الحكمة فى ذلك أن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام ويوم عرفة منسوب إلى النبى ﷺ ، فلذلك كان أفضل(١) اهـ .

وقد اتفق العلماء على أن صيام عاشوراء سنة ، أما فى أول الإسلام وقبل أن يشرع صيام رمضان ففى ذلك خلاف :

- فيرى أبو حنيفة أن صوم يوم عاشوراء كان واجباً .

---

(١) فتح البارى جـ ٥ ص ١٥٢ .

ـــ واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين : أحدهما : أنه سنة من يوم أن شرع وليس واجباً ، ولكنه متأكد الاستحباب ، فلما فرض صيام رمضان صار مستحباً دون الأول .

والثاني : أنه كان واجباً . قال الامام النووى رحمه الله : وتظهر فائدة الخلاف فى اشتراط نية الصوم الواجب من الليل ، فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول : كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء . ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ، ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه ، وأصحاب الشافعى يقولون : كان مستحباً فصح بنية من النهار ويتمسك أبو حنيفة بقوله : أمر بصيامه والأمر للوجوب وبقوله : فلما فرض رمضان . قال : من شاء صامه ومن شاء تركه ، ويحتج الشافعية بقوله : هـــذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه(١) اهـ .

ويتبادر هنـا سؤال هو : لماذا كان لهذين اليومين ـ عرفة وعاشوراء ـ هذه الدرجة العظيمة من مغفرة الذنوب ؟ .

والإجابة على هذا السؤال نذكر أولا : أن لهذين اليومين أفعالا كثيرة وردت بها السنة الشريفة ، وارتبطت بهما ذكريات هامة ، ففى يوم عرفة روى أصحاب السنن : «يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الإسلام» ، وهو يوم عبادة ونسك وله منزلته الجليلة فى الإسلام ، وأما يوم عاشوراء فهو اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى إسرائيل على فرعون فصامه موسى شكراً ، وقال رسول الله ﷺ : (فنحن أحق بموسى) .

ثانيا : إذا نظرنا إلى أول الحديث لنربط بين أوله وآخره ، ونرى جمال البلاغة النبوية الحكيمة ، وعظمة الفضل الإلهى الوافر ، أدركنا سر ما لهذين اليومين من درجة عظيمة ، فلئن كان سؤال بعض الناس للرسول ﷺ فيه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ١٨٢ ط . الشعب .

ما فيه من تكلف المشقة ، ولئن كان سؤال سيدنا عمر رضي الله عنه أيضا عن صيام الدهر وغيره من أنواع الصيام ، لئن كان ذلك محاولة للوصول إلى مرضاة الله تعالى . والفوز برحمته ومغفرته ؛ لئن كان كذلك ، فإن الله تعالى فتح أبواب الرحمة والقبول ، وأعد أسمى ما يتطلع إليه المسلم من المثوبة في عبادات لا حرج فيها ، ولا مشقة تخشى من ورائها ، فصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله ، هذا فيما يتعلق بحصول الثواب والأجر .

— أما ما يتعلق بغفران الذنوب ، فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين وقد جعل الله تعالى بعض الأيام أبوابا لهذه الرحمة ، فيوم عرفة يكفر السنة السابقة واللاحقة ، ويوم عاشوراء يكفر السنة الماضية هذا ما يرجوه الرسول الشفيع صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا ما يترقبه ويعده عند الله ، ولا حرج على فضل الله ، فهو ذو رحمة واسعة .

ما يؤخذ من الحديث

١ — رحمة الرسول ﷺ ورأفته بأمته ، فهو لا يكلفها ما لا تطيق ، فإن شريعته هي الحنيفية السمحة ، وصدق الله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

٢ — كيفية السؤال في العلم ، بالنسبة لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم وأدب الخطاب معه .

٣ — حسن عرض السؤال للحصول على الفائدة ، ولإفادة الغير أيضاً .

٤ — منزلة الصيام ، وما له من أثر عظيم في تكفير الذنوب ، واستجلاب الرحمات .

٥ — فضل صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم يوم عرفة ، وصوم

٦ — لم يرد في هذا الحديث ذكر صوم يوم الإثنين والخميس وقد ورد في رواية أخرى ما يدل على فضل الصيام في يوم الإثنين: (وسئل عن صوم يوم الإثنين فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل على فيه، وفي هذا الحديث من رواية شعبة:

قال: وسئل عن صوم يوم الإثنين والخميس، فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهما(١).

هذا وقد وردت أحاديث بفضل صيام يوم الإثنين والخميس، لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم(٢)).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والترمذي، وابن ماجه بمعناه.

ليلة القدر

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى: وحدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر.

اللغــة

(أروا ليلة القدر) بضم الهمزة على البناء للمجهول، بمعنى: قيل لهم فى المنام: إنها فى السبع الأواخر، وهؤلاء الرجال لم يرد تصريح بأسمائهم، وقال الحافظ ابن حجر: لم أقف على تسمية أحد من هؤلاء.

واختلف فى المراد «بالقدر»، فقيل: المراد به التعظيم، كقوله تعالى «وما قدروا الله حق قدره» وقيل: القدر بمعنى التضييق، كقوله تعالى: «ومن قدر عليه رزقه» ومعنى التضييق فيها: اخفاؤها عن العلم بتعيينها أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة، وقيل: بمعنى القدر بفتح الدال، والمراد: أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة، لقوله تعالى: «فيها يفرق كل أمر حكيم».

وذكر النووى فى سبب تسمية الليلة بذلك قول العلماء: لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التى تكون فى تلك السنة.

(أرى رؤياكم) أى أعلم، أو: «أبصر» على طريق المجاز. وجاء التعبير بإفراد «الرؤيا» والمراد: الجمع، أى مرائيكم، ورؤاكم، لأنها لم

تكن رؤيا واحدة وإنما أراد الجنس ، وقال ابن التين : وكذا روى بتوحيد الرؤيا وهو جائز ، لأنها مصدر ، اهـ ، من الفتح .

(قد تواطأت فى السبع الأواخر) معنى تواطأ : توافقت .

(فمن كان متحريها) التحرى : هو الحرص على طلبها وتصدها ، والاجتهاد فى ذلك .

المعنى

لليلة القدر منزلة جليلة فى الإسلام ، فهى خير من ألف شهر ، وفيها تنزل الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر سلام ، وحسبها شرفا وسموا أن أنزل فيها القرآن الكريم ، وجاءت إحدى سوره باسمها هى سورة القدر وفيها يقول الله تعالى :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وقد قيل فى معنى الروح آراء منها ، أن الروح خلق أعظم من الملائكة وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه وقال أبو صالح ومجاهد الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة قالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم ، وقيل هم أشراف الملائكة ، وقيل هم حفظة على الملائكة ، وقيل جبريل عليه السلام .

ولم يشأ الله سبحانه أن يحدد ميقات ليلة القدر تحديداً دقيقاً واضحاً حتى لا يتكل الناس ، وإنما أخفى الله تعالى وقتها ليقوم المسلمون بإحياء أكبر وقت ممكن من أيام رمضان ولياليه ، وذلك جار فى كثير من الأمور فقد أخفى الله تعالى ساعة الموت ، ووقت انتهاء الأجل لتستمر الخشية من الله تعالى ، ويستمر المسلم فى طاعة ربه .

وأخفى الله كذلك ساعة الإجابة يوم الجمعة ، وأخفى تحديد الصلاة الوسطى وتعيين اسمه الأعظم وغير ذلك من الأمور ليتضاعف تعظيم الله تعالى وعبادته وليدعو المسلم بتلك الأسماء كلها ، كما قال تعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه » .

وأخفى بيان قبول التوبة للتائبين حتى يخلصوا في الإنابة إلى ربهم ويداوموا على الرجوع إليه ، والتطهير من ذنوبهم في كل وقت وحين « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وكذلك أخفى الله تعالى تحديد ميعاد هذه الليلة وميقاتها ليعظم المسلم كل أيام شهر رمضان وكل لياليه بالعبادة . والتقرب إلى ربه تعالى .

قال العلماء وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة ، كقوله تعالى « فيها يفرق كل أمر حكيم(١) » .

وقوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر(٢) » ، ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ، ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم ، وكل ذلك مما سبق علم الله به ، وتقديره له(٣) اهـ .

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر » ، ما يوهم ظاهره التعارض مع رواية البخاري « أن ناسا أروا ليلة القدر في السبع الأواخر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم التمسوها في السبع الأواخر » ، فرواية مسلم أفادت تواطؤ رؤياهم على السبع ،

---

(١) سورة الدخان آية ٤
(٢) من سورة القدر آية ٤
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ٣ ص ٢٣١

وبسبب اختلاف هذه الروايات وقع اختلاف كبير بين العلماء في تحديد وقتها، وذكروا آراء كثيرة تزيد على أربعين رأيا، منها:

ما حكاه المتولي عن الروافض والفاكهاني عن الحنفية أنها رفعت قال القاضي وشذ قوم فقالوا رفعت، لقوله ﷺ حين تلاحا الرجلان فرفعت وهذا غلط من هؤلاء الشاذين لأن آخر الحديث يرد عليهم، فإنه صلى الله عليه وسلم قال «فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع والتسع».

وأما المراد برفعها رفع بيان علم عينها، ولو كان المراد رفع وجودها لم يكن ليأمر بالتماسها اهـ.

قال الإمام النووي(١) وأجمع من يعتد به على وجودها ودوامها إلى آخر الدهر، للأحاديث الصحيحة المشهورة.

وقال جماعة هي متنقلة تكون في سنة في ليلة، وفي سنة أخرى في ليلة أخرى وهكذا، وبهذا يجمع بين الأحاديث ويقال كل حديث جاء بأحد أوقاتها ولا تعارض فيها، قال: ونحو هذا قول مالك والثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم، قالوا. وإنما تنتقل في العشر الأواخر من رمضان، وقيل: بل تنتقل في كل أيام رمضان.

وقيل: إنها معينة ولا تنتقل أبداً بل هي ليلة معينة في جميع السنين لا تفارقها.

وذهب ابن عمر وجماعة من الصحابة إلى أنها في شهر رمضان كله.

وقيل: بل في العشر الوسط والأواخر.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٣ ص ٢٣١

ليلة هي؟ هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»(١).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي وصححه.

وروى ابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعاً « ليلة القدر طلقة ، لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة » ولأحمد من حديث عبادة « لا حر فيها ولا برد وأنها ساكنة صاحية وقمرها ساطع » ، ويلاحظ أن هذه العلامات الأخيرة تكون أثناء الليلة ، وهذه الأمارات هي التي جاءت بها السنة الشريفة .

وليست ليلة القدر — كما يزعم البعض — كوكباً يضيء ، أو جائزة مادية يتلقفها صاحب الحظ ، وإنما ليلة القدر هي ليلة مباركة ذات مكانة جليلة ، ينبغي على المسلم أن يقيمها بسائر أنواع العبادات ، ولا مانع من ظهور بعض العلامات الدالة عليها .

وقال الطبري في إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة ، إذ لو كان حقاً لم يخف على كل من قام ليالي السنة ، فضلا عن ليالي رمضان ، وتعقبه ابن المنير بأنه لا ينبغي إطلاق القول بالتكذيب لذلك بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله من عباده فيختص بها قوم دون قوم ، والنبي ﷺ لم يحصر العلامة ، ولم ينف الكرامة ، قال ومع ذلك فلا يعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق ، بل فضل الله تعالى واسع ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلا على العبادة من غير رؤية خارق ، وآخر رأى الخوارق من غير عبادة ، والذي حصل على العبادة أفضل والعبرة إنما هي بالاستقامة بخلاف الخارق فقد يقع كرامة وقد يقع فتنة ، وقيل إن المطلع على ليلة القدر يرى كل شيء ساجداً . وقيل يرى الأنوار ساطعة في كل مكان حتى في المواضع المظلمة . وقيل يسمع سلاماً أو خطاباً من الملائكة وقيل من علاماتها استجابة دعاء من وفق لها (١) . اهـ .

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٤ ص ٢٤٧

ما يؤخذ من الحديث

١ — إن ليلة القدر موجودة ، ومستمرة إلى آخر الدهر .

٢ — الأمر بالتماسها في السبع الأواخر ، وأرجى أوقات ليلة القدر الوتر من العشر الأواخر .

٣ — فضيلة الاعتكاف وغيره من سائر العبادات في العشر الأواخر رجاء ليلة القدر .

٤ — عظم منزلة الرؤيا وجواز الإستناد إليها في الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية ، كما جاء في الفتح .

٥ — أن هناك علامات دالة على ليلة القدر ، منها ما يظهر ليلتها ، ومنها ما يظهر بعدها ، قال الامام النووى « ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه هذه الاحاديث السابقة في الباب ، واخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر » ا هـ .

٦ — استحباب قيام ليلة القدر ، للفوز بمغفرة الله تعالى ، عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »(١) ، كما يستحب الذكر والدعاء فيها خاصة الدعاء الوارد في الحديث عن عائشة قالت قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولى « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى »(٢) .

---

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجة .

(٢) رواه أحمد وابن ماجة وقالا فيه « أرأيت إن وافقت ليلة القدر » ورواه الترمذى وصححه .

أما حكم الاعتكاف : فهو مستحب ، ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان ، لطلب ليلة القدر ، وقال ابن بطال : « وفي مواظبة النبي ﷺ ما يدل على تأكده ، ويكون الاعتكاف واجباً بالنذر ، قال الشوكاني : واعلم أنه لاخلاف في عدم وجوب الاعتكاف إلا إذا نذر به .

والحديث الذي معنا يوضح لنا صورة من صور اعتكافه ﷺ ، وبيان إخلاصه في الاعتكاف ، وتنزيه ساحته عن أي شاغل من الحياة . وفي قولها « إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه » ، مايفيد أن الاعتكاف يبدأ من أول النهار ، وقد ذهب إلى هذا الرأي الأوزاعي والثوري والليث في أحد قوليه ، محتجين بهذا الحديث .

وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد إلى أنه يدخل فيه قبل غروب الشمس ، إذا أراد اعتكاف شهر أو اعتكاف عشر ، وأولوا هذا الحديث على معنى : أنه دخل المعتكف ، وانقطع فيه ، وتخلى بنفسه بعد صلاة الصبح ، لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف ، بل كان من قبل المغرب معتكفاً لابثاً في جملة المسجد فلما صلى الصبح انفرد(١) . اهـ .

وأنه أمر بخبائه فضرب ، أراد الاعتكاف في العشر الأواخر ، من رمضان ، فأمرت زينب بخبائها فضرب ، وأمر غيرها من أزواج النبي ﷺ بخبائه فضرب وهن : عائشة ، وحفصة ، وزينب ، ويؤيد ذلك ماوقع في رواية البخاري بلفظ « أربع قباب » ، وفي رواية للنسائي : « فلما صلى الصبح إذا هو بأربعة أبنية ، قال لمن هذه ؟ قالوا : لعائشة وحفصة وزينب » ، أما الخباء الرابع : فهو خباؤه صلى الله عليه وسلم .

فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر نظر فإذا الأخبية ، فقال : آلبر تردن؟ فأمر

---

(١) شرح النووي جـ٣ ص٢٤٣

قال القاضي قال ﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن وسبب إنكاره لفعلهن أنه خاف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف.

(فأمر بخبائه فقوض) أي نقض وأزيل.

المعنى

إن سنة الاعتكاف من السنن العظيمة، التي شرعت في الإسلام، تخفيفاً لغلواء الحياة، وتلطيفاً لماديتها الجارفة الطاغية. وهذه السنة الإسلامية الكريمة هجرها أكثر المسلمين، وانصرفوا عنها. وربما كان الداعي لهذا الإنصراف هو كثرة شواغل الناس، وتعدد مطالب الحياة، ولكن الحقيقة أن الناس كلما تعددت مطالبهم، كانوا أحوج إلى هذا اللون من العبادة، ليجددوا به نشاطهم. ويستجموا ويستريحوا من عناء الحياة وزحمتها فترة من الوقت يعيشونها مع ربهم سبحانه وتعالى، وبهذا تتبين لنا حكمة الاعتكاف.

يقول ابن القيم في حكمة الاعتكاف: «... اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم به كله، والخطرات كلها بذكره والفكرة في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق[١] ..» اهـ

---

(١) زاد المعاد.

سنة الاعتكاف

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وإنه أمر بخبائه فضرب ، أراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان فأمرت زينب بخبائها فضرب ، وأمر غيرها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بخبائه فضرب ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر نظر فإذا الأخبية فقال : آلبر تردن ؟ فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف فى شهر رمضان حتى اعتكف فى العشر الأول من شوال .

اللغة

(الاعتكاف) لغة هو المكث ، والحبس ، والاستقامة والاستدارة قال العجاج .

فهن يعكفن به إذا حجا عكف النبيط يلعبون الفنزجا

والنبيط قوم من العجم ، والفنزج لعبة للعجم يأخذ أحدهم يد صاحبه ويستديرون . وحجا أقام بالمكان .

وتعريف الاعتكاف فى الشرع هـــو المكث فى المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ، ويسمى الاعتكاف جوارا .

(الخباء) هو خيمة صغيرة تكون لشخص يعتكف فيها .

(آلبر تردن) البر هو الطاعة ، وجاء هنا بهمزة الاستفهام الممدودة ، والبر منصوب على أنه مفعول به ، ويرى البعض أن الاستفهام هنا إنكارى

بجانه فنوض وترك الاعتكاف قال القاضى: قال ﷺ ذلك الكلام إنكاراً لفعلهن، وقد كان ﷺ أذن لبعضهن فى ذلك.

أما سبب إنكاره: فهو أنه خاف أن تشوب إعتكاف أزواجه شائبة فيكن غير مخلصات فى الاعتكاف. فتكون رغبتهن هى القرب من الرسول ﷺ لغيرتهن عليه، أو لغيرته عليهن، هذا بالإضافة إلى ما قد يترتب على وجودهن فى المسجد من الضرر، فالمسجد يجمع الناس، وقد يحتجن إلى الخروج والدخول أو أنه أنكر عليهن ذلك، لما رآهن عنده فى المسجد فأشبهت حالته وجوده فى منزله وحضوره مع أزواجه، وعلى هذا يذهب مقصود الاعتكاف، وهو التخلى عن الأزواج وشواغل الحياة.

ويحتمل سبب آخر لإنكاره عليهن: وهو أنهن قد ضيقن المسجد بالأبنية إذا فالاعتكاف عبادة ينبغى أن تؤدى فى إخلاص كامل، وينبغى أن تكون نقية من أية شائبة من الشوائب، فالاعتكاف فى ذاته عبادة قريبة من الصيام فى نقائها وبعدها عن الرياء، فالمعتكف إنسان خلصت نيته، وترك مغريات الحياة، وأقبل على ربه سبحانه وتعالى، ولذا كان أهم أركان الاعتكاف وأولها:

١ - النية، كسائر العبادات الأخرى، وإذا كان الاعتكاف فرضا بالنذر، وجب تمييزه عن النفل بنية الفرضية، وإن أطلق الاعتكاف، فلم يحدد له مدة معينة، كفته النية وإن طال مكثه، وإذا خرج من المسجد ولم يعزم على أن يعود ثم عاد وجب تجديد النية حينئذ سواء خرج لحاجة أم لا، أما إذا عزم على أن يعود فإن هذه العزيمة تقوم مقام النية، ولو قيد الاعتكاف بمدة كيوم وشهر وخرج لغير تبرز وعاد جدد النية وأن لم يطل الوقت، لأنه كان قد قطع الاعتكاف بخلاف خروجه للتبرز فإنه لا يجب أن يجدد النية ولو طال الوقت.

٢ – والركن الثاني: المعتكف، ويشترط فيه أن يكون مسلماً طاهراً عاقلاً، مميزاً.

٣ – والركن الثالث: اللبث، وضابطه كما قال الإمام النووي: مكث يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، وهذا هو الصحيح، وهناك رأي آخر يقول: بصحة اعتكاف المار في المسجد من غير لبث والصحيح الأول، وعبادة الاعتكاف لا يشترط فيها نوع معين من الذكر أو فعل ما من الأعمال، سوى اللبث بنية الاعتكاف، ويباح للمعتكف الخروج من المسجد لقضاء حاجة أو التطهر أو الغسل، كما يباح له الأكل والشرب والنوم في المكان الذي يعتكف فيه مع المحافظة على نظافته، ويباح له أيضاً عقود البيع والزواج.

٤ – والركن الرابع: هو المسجد: فلا يصح الاعتكاف في غيره، لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور، يستوي في ذلك الرجل والمرأة.

وذهب أبو حنيفة: إلى صحة اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من البيت للصلاة، ولا يجوز ذلك للرجل واختلف القائلون باشتراط المسجد:

فقال الشافعي ومالك والجمهور: يصح الاعتكاف في كل مسجد.

وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه.

وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها.

وقال الزهري وغيره: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة.

وعن حذيفة بن اليمان: اختصاصه بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد المدينة، والأقصى(١) اهـ.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٢٤٢

ولا يشترط في الاعتكاف الصوم كما ذهب إلى ذلك الإمام الشافعي وأصحابه ، وذهب مالك وأبو حنيفة وغيرهما إلى اشتراط الصوم في الاعتكاف ، وأنه لا يصح اعتكاف المفطر ، واحتجوا بما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان .

أما الشافعي فقد احتج باعتكاف رسول الله ﷺ في العشر الأول من شوال رواه البخاري ومسلم ، وبحديث عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية ، فقال : أوف بنذرك ، رواه البخاري ومسلم ، ومعلوم أن الليل لا يكون محلا للصوم فدل هذا على أنه لا يشترط الصوم في الاعتكاف .

والذي نرجحه : هو عدم اشتراط الصوم في صحة الاعتكاف ، وذلك لورود الأحاديث الصريحة في ذلك كحديث عمر وغيره ، ولكن يستحب للمعتكف الصوم ، للاتباع ، وخروجا من خلاف من أوجبه ، وفي ذلك كمال للعبادة ، وسمو بها ، وزيادة في الخير .

بقي الآن أن نوضح ما يبطل به الاعتكاف ، وهو أحد أمور :

مباشرة النساء ، أو ذهاب العقل ، أو الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة ، أو الخروج من المسجد من غير حاجة .

ما يؤخذ من الحديث :

١ - استحباب الاعتكاف ، وبيان مكانته وفضله .

٢ - فضيلة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان .

٣ - تحري الإخلاص الكامل في العبادات .

٤ - لا يصح الاعتكاف إلا في المسجد ، لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه اعتكفوا في المسجد مع المشقة ، فلو كان الاعتكاف في البيت جائزا لفعلوه ولو مرة .

٥ — للمعتكف أن يتخذ له موضعاً من المسجد يعتكف فيه، وليكن في مؤخرة المسجد ورحابه حتى يكمل في الانفراد، ولا يحدث ضيق في المسجد.

٦ — جواز الاعتكاف للنساء، فقد أذن الرسول ﷺ لهن، وأما منعه لهن بعد ذلك، فقد كان لعارض آخر.

٧ — قال النووي: وفيه: أن للرجل منع زوجته من الاعتكاف بغير إذنه وبه قال العلماء كافة، فلو أذن لها فهل له منعها بعد ذلك؟ فيه خلاف للعلماء، فعند الشافعي وأحمد وداود له منع زوجته ومملوكه، وإخراجهما من اعتكاف التطوع ومنعهما مالك، وجوز أبو حنيفة إخراج المملوك دون الزوجة اهـ.

العشر الأواخر من رمضان

روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد وشد المئزر » .

الشرح

لقد حظى شهر رمضان بخير عميم ، وبارك الله سبحانه جميع أيامه ولياليه ، وأفاض فيها من الخير والمثوبة ، والفضل والمرحمة ، ما جعله موسما للعبادات ، يتنافس فيه المسلمون على فعل الخير ، لعلهم يرحمون .

وقد شاءت ارادة الله تعالى أن يكون لبعض أيام الشهر العظيم منزلة خاصة ، لما ورد فيها من فضل وإنعام على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى المسلمين .

ومن أبرز معالم الفضل فيه : « ليلة القدر » التى أنزل فيها القرآن ، والتى كرمها الله تعالى ، وأجزل العطاء فيها ، فجعلها خيرا من ألف شهر .

وكيف لا ، وهى الليلة التى أنزل فيها القرآن ، هدى للناس ، ومن أجل نزول القرآن فى شهر رمضان كنعمة من أجل النعم — أوجب الله تعالى صيامه شكرا له على نعمته ، بجانب ما للصوم من ثمرات عديدة ، من أجل هذا اكتسب شهر رمضان مزية على غيره ، وكان درة بين شهور السنة ، وكان هو الشهر الوحيد الذى ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم مصرحا باسمه ، قال تعالى :

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فرتب الله تعالى فى هذه الآية الكريمة صيام الشهر على نزول القرآن فيه ، توضيحا للنعمة ، وبيانا لمنزلة القرآن .

الكريم آخر الكتب السماوية نزولا ، والذى جاء تبيانا لكل شىء ، وهاديا للتى هى أقوم ، ولقد كانت ليلة القدر ، ليلة نزول القرآن ، وعيد ميلاده الشريف ، كانت الليلة غير محدودة ولا معينة بميقات عدد معلوم وإنما أبهمت ، وأخفاها الله تعالى ، بين طيات النور الالهى ، ليستوعب المسلمون جميع أيام الشهر بكثير من الطاعات ، ولقد ورد فى السنة الشريفة ، استحباب قيام العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لسببين :

أولا : لتحين ليلة القدر والتعرض لنفحات الله تعالى فيها .

ثانيا : الحث على ختام الشهر المبارك بالطاعة ، وحسن خاتمته على أكمل وجه .

أما بالنسبة للسبب الأول : فقد أخرج البخارى — بسنده — عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى .

كما حث على أيام الوتر من العشر الأواخر : عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان ، أخرجه البخارى وقد سبق الكلام عن ليلة القدر مفصلا .

وأما بالنسبة للسبب الثانى : وهو الحث على ختام الشهر المبارك بالطاعة فهو ما يشير إليه الحديث الذى معنا عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر .

وروى أيضا — بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ — يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره ، ونلاحظ هنا فى هذين الحديثين الشريفين ، أنه لم يرد تصريح باختصاص

الاجتهاد فى العبادة ، من أجل ليلة القدر فحسب ، بل إن الاجتهاد هنا عام وشامل من أجل ليلة القدر ومن أجل الحرص على حسن خاتمة الشهر العظيم .

وقد وضح لنا حديث السيدة عائشة رضى الله عنها - الأول - عمل الرسول ﷺ عندما يدخل العشر الأواخر من رمضان .

وفى عمله عليه الصلاة والسلام قدوة لنا وأسوة حسنة ينبغى اتباعها : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

انها لصورة توضيحية كاملة للعمل النبوى الشريف، تبرز فيها الخصائص النبوية الشريفة ، التى ينبثق من هديها التشريع ، وتتضح منها معالم الحق والكمال ، انه فى عبادته ، لايقصر الأمر على نفسه ، بل لابد أن ينبه أهله، ويوقظهم ليؤدوا مايؤديه ، وليقتدوا به فى جميع أفعاله وأحواله ، وقد روى الترمذى ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم سلمة : « لم يكن النبى ﷺ إذا بقى من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيـــام إلا أقامه » .

وإذا كان هذا هو الهدى النبوى ، الذى منه تروى القلوب، وبه تسترشد النفوس وعلى ضوء هداه يأخذ الموجهون والمصلحون والمربون درسا لجميع مجالات الحياة ، وإذا اتضح لنا ذلك ، فإن الواجب على كل مسلم ، وراع ، وموجه فى أى موقع كان ، وفى أى بلد أو زمان ، أن يراعى توجيه أهله ، وتربية أسرته ، وأن يترسم القدوة الحسنة ، فى بناء الأسرة ، وكيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم لايدع أهله ، بل يوقظهم لتلقى فضل الله تعالى ورحماته .

ولنا فى رسولنا صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فلو أن كل راع

فى رعيته أجتهد فى أن يكون إماما لأهله ، وقدوة حسنة لهم وحاول نقل الصورة النبوية ، أو بعضها إلى بيته بين أولاده وزوجته وبناته لقادت الأسرة على عماد من الرشد لايخور ، وعلى هدى من الإيمان يزداد إشراقا ونورا ، فتطمئن الحياة بالناس ، ويهدأ المجتمع بأهله .

وإحياء الرسول صلى الله عليه وسلم الليل إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، هو استغراقه بالسهر ، فى الصلاة وغيرها من العبادات .

وفى احياء الليل إحياء للنفس ، لأن النوم أخو الموت ، قال الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث : « . . . وأضافه إلى الليل اتساعا ، لأن القائم إذا حيي باليقظة أحيا ليله بحياته ، وهو نحو قوله : « لاتجعلوا بيوتكم قبورا » أى لاتناموا فتكونوا كالأموات ، فتكون بيوتكم كالقبور » أ هـ.

وكان ﷺ يوقظ أهله للصلاة فى الليل ، ويجد ويجتهد فى العبادة — فى العشر الأواخر من رمضان — زيادة على عادته ، كما هو واضح من حديث عائشة الثانى :

« كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره » .

ومعنى جملة « وشد المئزر » : فالمئزر هو الإزار ، والمراد « الاجتهاد فى العبادة على غير العادة فى غير العشر والتشمير للعبادة فيه ، يقال : شددت لهذا الأمر مئزرى ؛ أى تشمرت له ، وتفرغت .

وقيل : هو كناية عن اعتزاله ﷺ للنساء ، لأنه كان متفرغا تفرغا كاملا للعبـــادة ، وبذلك جزم عبد الرازق عن الثورى واستشهد بقول الشاعر :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم   عن النساء ولو باتت بأطهار

وقال الخطابى : يحتمل أن يريد به الجد فى العبادة كما سبق ، ويحتمل أن

يراد به التشمير والاعتزال معا ، كما يحتمل ارادة الحقيقة والمجاز ، فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله ، واعتزل النساء ، وشمر للعبادة .

وبمجموع هذه الآراء العلمية نخلص بنتيجة واحدة هى : الانقطاع الكامل للعبادة ، ومضاعفة العمل عن أى وقت آخر ، حرصا على تحرى ليلة القدر وعلى حسن خاتمة الشهر المبارك .

ما يؤخذ من الحديث

وإضافة إلى ماسبق ، فإنه يستنبط من ذلك استحباب زيادة العبادات فى العشر الأواخر من رمضان .

واستحباب احياء لياليه بالعبادة ، وأما ماورد من كراهية قيام جميع الليل ، فذلك على معنى : المداومة على قيام الليل ، وتكليف النفس مالاطاقة لها به . أما قيام ليلة ، أو ليلتين ، أو العشر ، فلم يقل أحد بكراهيته ، بل انه قد اتضح الآن استحباب قيامه ، وزيادة العبادة فيه :

ونظرة أخيرة ، إلى العشر الأواخر من شهر رمضان ، نرى انها أيام رحمه وغفران ، وعتق من النار .

فقد ورد عن هذا الشهر : أن أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النـــار . فالعشر الأواخر إذا هى أيام العتق من النار ، والفوز بالجنات التى وعد الله تعالى بها الصائمين المخلصين . كما ورد : أنه إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان غفر الله لهم جميعا قيل : يارسول الله أهى ليلة القدر ؟ قال : لا ولكن العمال إذا ما انتهوا من أعمالهم وفوا أجورهم .

فهو شهر الصبر - ثوابه الجنة ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حسابه » .

حكم الصيام في شوال

عن أبي أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر» رواه مسلم.

الشرح

إن الصوم عبادة من أسمى العبادات، وقربة إلى الله تعالى من أشرف القربات، ومن أداها على وجهها الصحيح، سمت بصاحبها إلى مراقي الفلاح، وتبوأ عند الله تعالى منزلا كريما، فبالصوم يصل العبد إلى تقوى الله تعالى، كما قال سبحانه:

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

أما إذا لم يصل الصيام بصاحبه إلى هذه الدرجة الرفيعة، والغاية السامية «التقوى»، وكان الصيام مجرد كف عن المطعومات والمشروبات، وعن باقي المفطرات، فإنه عندئذ يكون قد افتقد عنصر «الإخلاص» وهو السر الكامن في طيات هذه العبادة العظيمة، ومثل هذا الصوم المجرد من الاخلاص لا يكفي، وليس لصاحبه منه إلا الجوع كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» رواه النسائي وابن ماجه والحاكم.

ولا فرق في وجه التقريب بعبادة الصيام بين أن يكون فرضا أو نفلا، فكما أن لصيام رمضان منزلته العليا عند الله تعالى، كفريضة أودع الله تعالى فيها من السمو الروحي، والإشراق النفسي، والمثوبة البالغة، والغايات الرفيعة، فأيضا أودع الله تعالى في بعض أيام أخرى ما يقارب هذه المنزلة، بل أنه لو ضم صوم تلك الأيام إلى صوم رمضان

ارتقى بصاحبه إلى فضل عظيم ومثوبة عند الله جزيلة ، حيث يفيض الله عليه أجر من صام الشهر ، يتضح ذلك مما يأتى :

١ - عن أبى أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من صام رمضان ، ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر» رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، ورواه أحمد من حديث جابر .

٢ - وعن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، رواه ابن ماجه ، وقد ذهب العلماء فى حكم صيام ستة أيام من شوال إلى فريقين :

الأول : استدل بالأحاديث السابقة على استحباب صوم ستة أيام من شوال ، وقد ذهب إلى ذلك الشافعى وأحمد وداود وغيرهم .

الثانى : ماذهب إليه أبو حنيفة ومالك من أنه يكره صومها ، واستدلا بأنه ربما ظن وجوبها وهو باطل .

واستدل مالك على الكراهة ، بما قال فى الموطأ من أنه ما رأى أحداً من أهل العلم يصومها ، ولا يخفى أن الناس إذا تركوا العمل بسنة لم يكن تركهم دليلا ترد به السنة .

وقد استحسن بعض الأئمة أن تصام الست متوالية عقب يوم الفطر ، فإن فرق الأيام ، أو أخر بعضها ، أو كلها عن أوائل شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة ، لأنه يصدق أنه أتبعه ستا من شوال .

ونحن نميل إلى الفريق الأول الذى يرى استحباب صوم ستة أيام من شوال ، لأن أحب العبادة إلى الله تعالى مادام عليه صاحبه ، فلم ينقطع عن العبادة ، بل جعل العمل موصولا ، وبرهن على صدق إيمانه ، وكمال

إخلاصه ، فأثمر صوم رمضان عنده غاية « هي التقوى » التي جعلته دائماً وبسرعة عقب رمضان ، يصل حباله بربه سبحانه وتعالى فيكون متبعاً للصوم في شوال . وهكذا تصنع الاشراقات الروحية صنيعها ، وتعمل عملها ، فتجعل صاحبها يتذوق حلاوة الايمان ، فيستكثر من الطاعات ويبقى الآن أن نعرف كيف يكون لمثل من صام كذلك أجر كأجر من صام السنة ؟

وللإجابة على هذا نقرأ قول الله تعالى :

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . . . » .

فإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها ، فرمضان ، يعدل صيامه مع فضل الله تعالى الذي أفاءه على المخلصين يعدل عشرة أشهر .

كما تعدل — كذلك — « الستة » شهرين ، كما جاء في بعض الأحاديث وبهذا تتضح لنا تلك المعادلة الإلهية التي تنتج في ميزان الفضل الإلهي ، مضاعفة المثوبة والأجر « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

ولكن هل من صام شهر رمضان وستة أيام من شوال يعدل في الأجر والمثوبة من صام معظم السنة أو صام أيام غير رمضان أكثر من ذلك ؟

إن الناظر إلى لفظ حديث أبي أيوب يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « فذاك صيام الدهر » أى أنه يشبهه ، فيما لو صام إنسان الدهر دون مضاعفة الأجر فإنه يحسب له يوم صومه يوماً واحداً ، أما مع مضاعفة الأجر ، فيحسب كل يوم عشرة أيام ، والله ذو الفضل العظيم .

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث بالحنفية السمحة ، التي لا مشقة فيها ولا حرج ، ما جعل عليكم في الدين من حرج ، فهو يفتح باب القبول والأمل أمام أولئك الذين أحبوا عبادة الله ، وأحبوا المزيد منها وتمنوا لو عاشوا دهرهم صائمين قائمين ، فيلفت أنظارهم إلى أن ربهم كريم ، وذو فضل

عظيم يضاعف الثواب ، حتى يصل إلى ما تتشوف إليه عيونهم ، وتهفو نفوسهم ، فيعطيهم ثواب الدهر بصيام شهر وستة أيام ولا يكلفهم من الطاعة ما يشق عليهم أداؤه .

قال الله تعالى :

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى أداء فرائضه ونوافله والمحافظة على كل شعائر الإسلام ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

الصوم الحقيقي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري.

لا يكون الصائم كامل الصوم مقبولاً عند ربه إلا إذا صام صوماً حقيقياً وتاماً بأن كف جوارحه وشهواته، وامتنع عن المفطرات وعن المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وامتنع عن قول الزور وعن العمل به، أما من لم يدع قول الزور والعمل به فقد وضح هذا الحديث أنه قد نقص ثوابه.

والمراد بقول الزور: الكذب واشتمل الحديث على التحذير من قول الزور وهذا هو المراد، وليس معنى الحديث أن يؤمر بأن يدع صيامه. وأما قوله: «فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» فلا مفهوم له، لأن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه، فوضع الحاجة موضع الإرادة.

وقال بعض العلماء: هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئاً طلبه منه فلم يقم به لا حاجة لي بكذا، فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول الصوم السالم منه. وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول.

فقوله « ليس لله حاجة » مجاز عن عدم القبول فنفى السبب وأراد المسبب.

وقد وضح الإمام أبو حامد الغزالي في كتابة القيم « إحياء علوم الدين » درجات الصيام وذكر أنها ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.

وروى ليث بن مجاهد: خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنما الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم» رواه البخاري ومسلم.

وجاء في الخبر: أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه في الإفطار فأرسل إليهما قدحاً وقال صلى الله عليه وسلم: قل لهما قئا فيه ما أكلتما. فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً. وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك! فقال :

«هاتان صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما، قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم» رواه أحمد.

والإنسان الذي يكف عن الطعام والشراب، فيجوع ويعطش ولكنه لا يكف نفسه عن الغيبة أو الزور أو العمل به ولا يحفظ جوارحه عن الآثام، أو يصوم ويفطر على الحرام أو على لحوم الناس بالغيبة ونحوها هذا الإنسان لا يجني من صيامه إلا الجوع والعطش كما قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» رواه النسائي وابن ماجه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود.

ولما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ وضع يده على سمعه وبصره فقال: « السمع أمانة، والبصر أمانة، وصيام رمضان له ثمرته الكبيرة في غفران الذنوب ولكن بشرط أن يتحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه، فيدع الزور والبهتان ويدع المعاصي صغيرها وكبيرها ما ظهر منها وما بطن.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان، وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ كفّر ما قبله» رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك».

إن الصيام بهذا المعنى يكون كاملاً مقبولاً يتكفل الله سبحانه وتعالى بجزاء أصحابه كما جاء في الحديث: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

إن الصيام أمانة، يجب على المؤمن أن يؤديها على أكمل وجه وأتمه وأن يصون صيامه من كل ما يبطله أو ينقص ثوابه، وأن يتحاشى قول الزور والعمل

الناس مطلقاً، أشار بعد ذلك إلى أن جوده وعطاءه وبذله صلوات الله وسلامه عليه في شهر رمضان أكثر من غيره من الشهور، فبعد بيان أنه أجود الناس وجوده أفضل من غيره مطلقاً، وضح أن جوده في شهر رمضان يفضل جوده في سائر الأوقات، لأن شهر رمضان هو موسم الخيرات، ولأن نعم الله سبحانه وتعالى على عباده فيه زائدة على غيره وهي في هذا الشهر أكثر من غيره، فكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يؤثر متابعة سنة الله في عباده.

ويقول الحافظ بن حجر رحمه الله: فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود.

(وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن) ومعنى مدارسة القرآن: قراءته بالتناوب على سرعة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتناوب القراءة مع جبريل عليه السلام بأن يقرأ هذا بعضاً من القرآن ويقرأ الآخر البعض أو يتشاركان في القراءة معاً. أما الحكمة في مدارسة القرآن فهي أنها تجدد العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود ولأن هذا الشهر المبارك هو موسم الطاعات والخيرات ونعم الله فيه لا تحصى. وهكذا يتضح من الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس مطلقاً وأن جوده في شهر رمضان أكثر من غيره.

ثم أشار الحديث بعد ذلك إلى أن جوده في شموله وعمومه حيث يشمل كثيراً من الوجوه والمنافع وأنه جود مع كثرته سريع كالريح المرسلة بل إن جوده صلوات الله وسلامه عليه أكثر من الريح المرسلة سرعة. ووصف الريح بالمرسلة، إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه، وجاء عند الإمام أحمد في آخر هذا الحديث: «لا يسأل شيئاً إلا أعطاه».

وفي الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا.

الرسول صلى الله عليه وسلم

في رمضان

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة، رواه البخاري.

يوضح هذا الحديث ما كان عليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من الجود والإنفاق والبذل والعطاء، فكان صلوات الله وسلامه عليه أجود الناس.. والجود في الشرع: هو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة وفي حديث آخر عن أنس: كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأجود الناس.

وليس عجيباً أن يكون أجود الناس وهو الأسوة الحسنة، وصاحب النفس الكريمة التي هي أكرم النفوس وأشرفها، وصاحب الأخلاق العالية التي هي أفضل الأخلاق بل أنه ركز مضمون بعثته لإتمامها، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فلا عجب أن يكون أجود الناس وأسخى الناس وأكرم الناس وأفضلهم، وهو الهادي إلى صراط ربه والقائل «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» رواه البخاري.

وبعد أن وضح الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود

به، وأن يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ليستحق أن يتكفل الله بجزائه، وأن يثمر صيامه أعظم الثمرات. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ما يؤخذ من الحديث

١ ـ على الصائم أن يتجنب قول الزور والعمل به.

٢ ـ الصيام أمانة بين العبد وربه فيجب عليه مراعاتها.

٣ ـ فضل الصيام الحقيقي الكامل وما له من أثر في حياة العبد وآخرته.

وكما قال الشاعر:

ما قال «لا» قط إلا في تشهده   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وإنما كان جوده صلوات الله وسلامه عليه في شهر رمضان أنفضل من جوده في غيره لكونه في رمضان وللاقاته جبريل عليه السلام ولمدارسته للقرآن الكريم.

وفي الحديث إشارة إلى أن ابتداء نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن..﴾ وأن نزوله إلى السماء الدنيا جملة واحدة كان في شهر رمضان. كما ثبت هذا من حديث ابن عباس: «فكان جبريل يتعاهده في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين».

ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة الذي يجب على أمته أن يقتدوا به كما قال الله جل شأنه: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

فعلينا أن نقتدي برسولنا صلوات الله وسلامه عليه في الإنفاق والمزيد من الجود في شهر رمضان..

ولقد دعا القرآن الكريم إلى المبادرة الى الإنفاق وأن يكون شغلهم الشاغل ليل نهار ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليه ولا هم يحزنون﴾ وفصل القرآن الكريم أصحاب الحقوق في قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾.

وليس لأحد أن يبخل متعللاً بجمعه لأولاده، وليس لأحد أن يخاف الفقر بسبب الإنفاق ولا أن يخاف على أولاده من بعده.

والحديث الآتي يصور لنا موازنة بين الإنفاق والبخل، وأن الله تعالى يرعى أبناء المنفقين، وينزل بأبناء البخلاء ما يخافون منه.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نشر الله عبدين ممن أكثر لهما من المال والولد. فقال لأحدهما: أي فلان بن فلان. قال: لبيك رب وسعديك. قال: ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال: بلى أي رب. قال: كيف صنعت فيما آتيتك؟ قال: تركته لولدي مخافة العيلة - أي الفقر - قال: أما أنك لو تعلم العلم لضحكت قليلاً ولبكيت كثيراً، أما إن الذي تخوفت عليهم قد أنزلت بهم.

ويقول للآخر: أي فلان بن فلان؟ فيقول: لبيك أي رب وسعديك، قال له: ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال: بلى أي رب. قال: فكيف صنعت فيما آتيتك؟ قال أنفقت في طاعتك، ووثقت لولدي من بعدي بحسن طولك. قال: أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً، أما أن الذي وثقت به قد أنزلت بهم». رواه الطبراني.

ما يؤخذ من الحديث

١ - فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة جوده وخاصة في شهر رمضان، ولنا فيه الأسوة الحسنة.

٢ - الدعوة إلى الجود والإنفاق في كل وقت، وزيادته في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح والخير.

٣ - زيارة الصالحين وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه.

٤ - استحباب قراءة القرآن في شهر رمضان، وأنها أفضل الأذكار.

٥ - مكانة شهر رمضان ومنزلته في الإسلام، وما ينبغي على المؤمنين فيه من العبادة وقراءة القرآن والإنفاق ومضاعفة أعمال الخير وصنائع المعروف.

يوم عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه رواه مسلم.

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم، وكانت قريش تصوم هذا اليوم عملاً بشريعة إبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم السلام.

وقد اتفق العلماء على أن صيام هذا اليوم سنة، وليس بواجب، أما في أول الإسلام فقد اختلفوا في حكم صيامه قبل مشروعية صيام شهر رمضان فيرى الإمام أبو حنيفة أن صيام يوم عاشوراء كان واجباً، ويرى بعض أصحاب الشافعي أن صيامه لم يزل سنة من حين شرع، ولم يكن واجباً ولكنه كان متأكد الاستحباب، فلما شرع صيام شهر رمضان صار مستحباً دون ذلك الاستحباب.

ولقد كان قدوم الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة في ربيع الأول، فأقام بالمدينة حتى يوم عاشوراء من السنة الثانية، وعندئذ وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه لا تقليداً لهم

بل لوحي نزل عليه، أو لأنهم أخبروا أن موسى كان يصومه فصامه شكراً لله على نجاة موسى من عدو، وفي صومه لهذا اليوم إئتلاف لليهود، وكان صلوات الله وسلامه عليه في بادىء هجرته يحب أن يوافق أهل الكتاب فيما لم ينه عنه.

يقول أبو موسى الأشعري: كان أهل خيبر يصومون عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فصوموه أنتم» رواه مسلم.

فصيام رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بمجرد اخبار آحادهم بل إنه صامه كما تصومه قريش في مكة، ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه أيضاً بوحي أو تواتر أو اجتهاد.

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع». قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي عزمه صلوات الله وسلامه عليه على صيام اليوم التاسع مع العاشر حتى لا يتشبه باليهود في إفراد العاشر، وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء ولقد كان السلف يحرصون على صيام هذا اليوم المبارك ومما ورد في ذلك ما رواه الإمام مسلم عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها عند الإفطار.

ولصيام يوم عاشوراء ثمرة عظيمة في تكفير الذنوب أخبر عنها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في قوله: «.. وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» رواه مسلم.

والمراد بالذنوب التي يكفرها صيام هذا اليوم هي الذنوب الصغائر فإن لم يكن للإنسان صغائر فيرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجاته.

هذا هو ما وردت به السنة الصحيحة في هذا اليوم المبارك العظيم، أما باقي البدع التي حاول كثير من الناس إلصاقها بهذا اليوم فهي غير واردة ولا مشروعة. ومن تلك البدع التي أشير إليها ليتحاشاها الناس أداء بعض الصلوات الخاصة على كيفية خاصة، ومن البدع ما قيل في شأن هذا اليوم بأن من صلى فيه أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عاماً. وهذا غير ثابت ولا وارد ولا مشروع.

ومن ذلك طهي بعض الحبوب بكيفية خاصة زعماً أن لذلك مزية وأن في ذلك أجراً عظيماً لمن يفعله، ومن البدع: الشحذ على الأطفال ليعيشوا. ومن المختلف: ما قيل أن آدم تاب الله عليه يوم عاشوراء وإبراهيم نجاه الله من النار، وأيوب عافاه الله يومه، ويونس أخرجه الله من بطن الحوت يومه، ويعقوب اجتمع بيوسف يومه عليهم الصلاة والسلام.

وقال ابن الحاج: يوم عاشوراء موسم شرعي، والتوسعة فيه على الأهل واليتامى والمساكين والصدقة مندوب إليها بلا تكلف وإلا يصير ذلك سنة يستن بها لا بد من فعلها، فإن وصل إلى هذا الحد كره سيما إذا كان الفاعل ممن يقتدى به. ولم يكن السلف يعتادون فيه طعاماً مخصوصاً بل كان بعضهم يترك التوسعة فيه قصداً لتنتبيه على أنها غير واجبة. إهـ الدين الخالص.

وهكذا يتضح لنا ما هو مشروع في يوم عاشوراء من العبادة كالصوم له ولليوم قبله والتوسعة على المحتاجين وعدم التكلف وإتيان البدع التي ألصقت بهذا اليوم.

ولنا في رسولنا صلوات الله وسلامه عليه القدوة الحسنة مصداقاً لقول الله

تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

ما يؤخذ من الحديث

١ - فضل يوم عاشوراء واستحباب صيامه.

٢ - فضل صيام يوم التاسع قبله.

٣ - ما لصومه من أثر في غفران الذنوب.

قضاء الصوم عمن مات

روى الإمام مسلم - بسنده - عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه».

وروى - بسنده - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إمرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر؟ فقال: «أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟» قالت: نعم، قال: «فدين الله أحق بالقضاء».

المعنى

في هذين الحديثين توضيح لحكم من مات وعليه صوم، هل يجوز أن يصوم عنه أحد أم لا، فحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها يفيد أن من مات وعليه صيام صام عنه وليه، فهو يفيد أن الصوم عن الميت جائز ومشروع وأن الذي يقوم بالصوم عنه إنما هو وليه، وقوله عليه الصلاة والسلام «من مات» هذا عام في المكلفين، لقرينة: «وعليه صيام» لأنه لا يكون عليه إلا المكلف.

وقوله: «صام عنه وليه» خبر بمعنى الأمر، تقديره: فليصم عنه وليه، فالجملة خبرية لفظاً، إنشائية معنى، والأمر هنا ليس للوجوب عند الجمهور بل للاستحباب.

والمراد بالولي: قيل: هو كل قريب عصبة كان أو وارثاً أو غيرهما، وقيل:

هو عصبته. والأرجح والأصح أنه كل قريب عصبة كان أو وارثاً وقيل هو الوارث خاصة أو غيرهما.

وقد اختلف العلماء في حكم من مات وعليه صيام واجب من رمضان أو نذر أو غيره هل يجوز القضاء عنه أم لا؟

وللإمام الشافعي في هذه المسألة رأيان: الأول أنه لا يصام عنه ولا يصح عن ميت صوم.

والثاني: يستحب لوليه أن يصوم عنه، ويصح الصوم عنه ويبرأ به الميت وهذا القول هو الصحيح المختار، للأحاديث الصحيحة والصريحة في ذلك.

وهناك حديث آخر ورد بلفظ «من مات وعليه صيام أطعم عنه» ولكنه غير ثابت، وقال عنه الإمام النووي: ولو ثبت أمكن الجمع بينه وبين هذه الأحاديث بأن يحمل على جواز الأمرين فإن من يقول بالصيام يجوز عنده الإطعام فثبت أن الصواب المتعين تجويز الصيام وتجويز الإطعام والولي مخير بينهما.

وروى إجماع العلماء على أنه لا يصلي أحد عن ميت صلاة فائتة، وعلى أنه لا يصوم أحد عن أحد في حياته.

ورأى بعض العلماء أنه لا يصام عن الميت إلا النذر حملاً للعموم الذي في حديث عائشة على المقيد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: «أرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدى عنها؟» قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك» رواه مسلم.

وإذا نظرنا في آخر حديث ابن عباس وجدنا ما يشير إلى عموم الحكم حيث قال في آخر الحديث: «لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدى عنها؟» قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك» وهذا عام، وفي رواية أخرى: «فدين الله أحق أن يقضى».

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري: فحديث ابن عباس صورة مستقلة سأل عنها من وقعت له، وأما حديث عائشة فهو تقرير قاعدة عامة.

وكون السؤال ورد بروايات متعددة فلا يعني هذا بأن في الحديث إضطراباً، ففي إحدى الروايات أن السائل إمرأة، وفي رواية صوم شهر، وفي رواية صوم شهرين، وفي رواية أن المسؤول عنها أخت وفي بعضها أنها أم، وفي رواية أن السؤال وقع عن نذر، وفي رواية أنه الحج وفي أخرى أنه الصوم.

ويجاب عن هذا كله بتعدد القصة، ولا تعارض بين الروايات فقد سأل تارة رجل، وتارة إمرأة، وتارة عن شهر، وتارة عن شهرين وهكذا.

وفي رواية عند الإمام مسلم أن إمرأة سألت عن الصوم والحج معاً، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته إمرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت؟ قال: فقال «وجب أجرك وردها عليك الميراث» قالت يا رسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: «صومي عنها» قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: «حجي عنها».

وهل يختص الصيام عن الميت بالولي، أم أنه يجوز صيام الولي وصيام غيره؟

من العلماء من يرى أن الصوم يختص بالولي، لأن الأصل عدم النيابة في العبادة البدنية ولأنها عبادة لا تدخلها النيابة في الحياة فكذلك في الموت إلا ما ورد فيه الدليل فيقتصر على ما ورد ويبقى الباقي على الأصل وهذا هو الراجح.

وقيل: لا يختص بالولي فلو أمر أجنبياً بأن يصوم عنه أجزأ.

وقيل: يصح استقلال الأجنبي بذلك، وذكر الولي لكونه الغالب، وظاهر صنيع البخاري اختيار هذا الأخير، وبه جزم أبو الطيب الطبري وقوّاه بتشبيهه صلى الله عليه وسلم ذلك بالدين، والدين لا يختص بالقريب[1] إهـ.

---

(١) فتح الباري، نيل الأوطار.

ما يؤخذ من الحديث

١ - رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده ورأفته بهم في حياتهم وبعد مماتهم.

٢ - دعوة الإسلام إلى صلة الرحم والبر بالوالدين دنيا وآخرة..

٣ - جواز صوم الولي عن الميت.

٤ - جواز سماع كلام المرأة الأجنبية في الاستفتاء ونحوه بشرط أمن الفتنة.

٥ - صحة القياس، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فدين الله أحق بالقضاء».

٦ - يجوز قضاء الدين عن الميت، وقد أجمعت الأمة على ذلك، دون فرق بين أن يقضيه عنه وارث أو غيره، فيبرأ به بلا خلاف.

٧ - جواز الصوم عن الغير إذا كان قد مات كما يجوز الحج عن الميت والعاجز الذي لا يرجى برؤه.

٨ - يستحب للمفتي أن ينبه على وجه الدليل إذا كان مختصراً واضحاً وبالسائل إليه حاجة أو يترقب عليه مصلحة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قاس على دين الآدمي تنبيهاً على وجه الدليل.

شروع صوم النفل نهاراً
وجواز قطع الصوم

روى الإمام مسلم - بسنده - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذات يوم -: «يا عائشة هل عندكم شيء؟» قالت، فقلت: يا رسول الله ما عندنا شيء، قال: «فإني صائم»، قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهديت لنا هدية أو جاءنا زور: قالت: فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله أهديت لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئاً، قال: «ما هو؟» قلت حيس، قال: «هاتيه»، فجئت به فأكل ثم قال: «قد كنت أصبحت صائماً» قال طلحة: فحدثت مجاهداً بهذا الحديث فقال: ذلك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله، فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها.

المفردات

(زور): الزور: الزائرون، يقال: رجل زائر وقوم زور وزوار مثل: سامر وسُمّر وسفار، ونسوة زور أيضاً وزور مثل نُوَّم ونوح ويطلق الزور على الواحد والجماعة القليلة والكثيرة.

(حيس): الحيس هو التمر مع السمن والأقط، وقال الهروي: ثريدة من أخلاط وفي النهاية: هو الطعام من التمر والأقط والسمن وقد يجعل عوض الأقط الدقيق.

المعنى

في هذا الحديث يوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بسلوكه وفعله وكل أفعاله كأقواله تبيا من الهداية والتوجيه ما يشتمل على أمور العبادات وما يوضح الكثير من أحكام الدين، والمسلمون مأمورون بالإقتداء به صلى الله عليه وسلم مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

والأحكام التي يوضحها هذا الحديث تتصل بصوم النافلة وأنه يصح صوم النفل بدون أن يبيت الصائم النية.. كما أن صيام النفل يجوز فيه للصائم أن يقطعه ويفطر.

فأما بالنسبة للحكم الأول، وهو عدم إشتراط تبيت النية في صوم النفل فهذا ما ذهب إليه الجمهور حيث أجازوا النية له في النهار وقبل زوال الشمس.

وذهب بعض العلماء إلى ضرورة تبيت النية لصيام النافلة، وأولوا هذا الحديث الذي معنا والدال على جواز صوم النفل دون تبييت للنية، أولوه على معنى أن سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله: «هل عندكم شيء» لكونه قد نوى الصوم من الليل ثم ضعف عنه وأراد الفطر لذلك ولكنه تأويل بعيد.

وقال مالك في النافلة: لا يصوم إلا أن يبيت إلا إن كان يسرد الصوم فلا يحتاج إلى التبييت.

وقالت طائفة من العلماء، له أن يصوم مطلقاً متى بدا له أن يصوم سواء إن كان قبل الزوال أو بعده وهو أحد قولي الإمام الشافعي، ولكن الذي نص عليه في معظم كتبه التفرقة.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لا يصوم تطوعاً حتى يجمع من الليل أو

يتسحر وقال بعضهم: من أصبح مفطراً ثم بدا له أن يصوم قبل منتصف النهار أجزأه وإن بدا له ذلك بعد الزوال لم يجزئه.

وهذا هو الأصح عند الشافعية أيضاً لمطابقته للحديث.

وهذا الحكم وهو جواز إنشاء صيام النافلة من النهار ودون تبييت النية إنما أخذ من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سأل السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «هل عندكم شيء؟» فأجابته قائلة: ما عندنا شيء، قال: «فإني صائم» وبدأ صيامه صلى الله عليه وسلم وخرج من المنزل ثم جاءه بعد ذلك بعض الزوار وحملوا إليه هدية،! فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت: يا رسول الله أهديت لنا هدية أو جاءنا زور - أي بعض الزائرين - وكانت قد حفظت شيئاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فلما سأل وقال: «ما هو؟» قالت له: حيس وهو الطعام المصنوع من التمر والأقط والسمن، وقد يكون بدل الأقط الدقيق، فطلب إحضاره، وقال: «هاتيه» فجاءته به، فأكل، ثم قال: «قد كنت أصبحت صائماً».

وفي رواية أخرى: قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: «هل عندكم شيء؟» فقلنا: لا، قال: «فإني إذن صائم» ثم أتانا يوماً آخر فقلنا: يا رسول الله أهدي لنا حيس، فقال: «أرنيه فلقد أصبحت صائماً» فأكل.

وهذه الرواية الثانية للحديث تفسر الرواية الأولى، وتوضح أن القصة في الرواية الأولى كانت في يومين لا في يوم واحد.

وأما الحكم الثاني الذي دل عليه الحديث: فهو أنه يجوز قطع صيام النفل والأكل في أثناء النهار لأنه نفل، وهو مذهب الشافعي ومن وافقه، وممن قال بهذا جماعة من الصحابة وأحمد وإسحاق وآخرون ولكن الجميع والشافعي معهم

متفقون على استحباب إتمام صيام النفل وعدم قطعه، ولعل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أفطر لبيان الجواز بالنسبة لصوم النفل أو أن استمراره غير واجب وللتشريع وبيان الجواز فعلى صلوات الله وسلامه عليه ما فعل من الإفطار وعدم استمرار الصيام وحيث جاءته هذه الهدية ووجد الطعام.

وقال الإمام أبو حنيفة والإمام مالك: لا يجوز قطعه ويأثم بذلك، وبه قال الحسن البصري ومكحول والنخعي، وأوجبوا قضاءه على من أفطر بلا عذر. قال ابن عبد البر: وأجمعوا على ألا قضاء على من أفطر بعذر. ومما يدل على جواز إفطار من صام تطوعاً، لا سيا إذا كان في دعوة إلى طعام أحد من المسلمين ما رواه البيهقي بإسناد حسن عن أبي سعيد قال: صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً، فلما وضع قال رجل: أنا صائم، فقال رسول الله : «دعاك أخوك وتكلف لك أفطر فصم مكانه إن شئت» وهذا الحديث يدل أيضاً على استحباب القضاء لذلك اليوم.

وبعد بيان آراء العلماء في قضاء صيام التطوع أو عدم قضائه يتضح من خلال النصوص والأدلة التي يستفاد منها القضاء أنه ليس بواجب، ويمكن الجمع بين الأحاديث بحمل القضاء على الندب.

ومما يدل على جواز الإفطار وعدم وجوب القضاء حديث أبي جحيفة قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا جاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال: كل فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله

عليه وسلم فذكر له ذلك، فقال النبي : «صدق سلمان» رواه البخاري والترمذي.

فدل هذا الحديث على أنه يجوز لمن كان صائماً صيام تطوع أن يفطر ولا يجب عليه القضاء، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر ذلك ولم يبين لأبي الدرداء وجوب القضاء عليه، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ما يؤخذ من الحديث

١ - جواز الصيام من النهار في التطوع ولا يشترط في صيام النفل تبييت النية [illegible] الفرض.

[illegible] بادي وقبول الهدية الخالصة التي لا شائبة فيها.

[illegible] أكله صلى الله عليه وسلم من الهدية بخلاف الصدقة فلا [illegible]

[illegible] لا أن يفطر ولا يستمر في صيامه وله أن يقضي أو لا يقضي [illegible] ذلك كما سبق في الشرح وأن القضاء ليس واجباً.

٥ - ما كانت عليه بيوت أزواجه صلى الله عليه وسلم من الزهد [illegible] القناعة وعدم الكثرة في أمور المعاش.

بيان أن لكل بلد رؤيتهم [illegible]

روى الامام مسلم بسنده عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام ، قال : فقدمت الشام فقضيت حاجتها ، واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر ، فسألني عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة ، فقال : أنت رأيته ؟

فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية ، فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه ، فقلت : أو لا تكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا ، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ

مفردات :

(كريب) مولى [illegible] رضي الله عنهما .

(أم الفضل) هي لبابة بنت الحارث الهلالية ، زوج العباس بن عبد المطلب [illegible]

(استهل) بالبناء للمجهول أي رؤي هلاله .

(أو لا تكتفي [illegible]) [illegible]

[illegible] تكتفي [illegible] الاستفهام [illegible]

[illegible] المدينة [illegible]

المعنى :

لقد تمسك بهذا الحديث بعض العلماء الذين قالوا بأنه لا يلزم أهل بلد رؤية أهل بلد غيرها .

وفي هذه المسألة مذاهب وآراء للعلماء ، كل اجتهد فيها على حسب [illegible] فهمه للنصوص الثابتة .

١ - فمن هذه المذاهب ما حكاه ابن المنذر عن عكرمة والقاسم بن محمد وسالم وإسحاق وحكاه الترمذى والماوردى وجها للشافعية . أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ولا يلزمهم رؤية غيرهم .

٢ - ما ذكره ابن الماجشون ، بأنه لا يلزم أهل بلد رؤية غيرهم إلا أن يثبت ذلك عند الإمام الاعظم فيلزم الناس كلهم ، لأن البلاد فى حقه كالبلد الواحد ، إذ حكمه نافذ فى الجميع .

٣ - إن تقاربت البلاد كان الحكم واحدا ، وإن تباعدت فوجهان أنه لا يجب عند الاكثر كما قاله بعض الشافعية ، واختار أبو الطيب وطائفة الوجوب ..

وضابط البعد أوجه :

١ - اختلاف المطالع .

٢ - كونها مسافة قصر .

٣ - أن يكون البعد باختلاف الأقاليم .

٤ - أنه يلزم أهل كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم .

٥ - أنه لا يلزم إذا اختلفت الجهتان ارتفاعا وانحدار كأن يكون أحدهما سهلا والآخر جبلا أو كان كل بلد في أقليم ، وحجة أصحاب هذه الآراء هى هذا الحديث الذى معنا ، لأن ابن عباس رضى اله تعالى عنهما لم يعمل برؤية أهل الشام ، وقال آخر الحديث: هكذا أمرنا رسول الله ﷺ ، فدل ذلك على أنه قد حفظ من رسول الله ﷺ أنه لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر .

وذهب المالكية إلى أنه إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها .

وقال الحافظ ابن حجر : أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بعد من البلاد كخراسان والاندلس .

والذى نختاره هو أنه إذا تباعدت البلاد بعدا يترتب عليه اختلاف مطالع الشمس والقمر كخراسان والأندلس وما على شاكلتهما فإن الرؤية فى بلد لا تعتبر فى البلد الآخر ، وهذا ما يتمشى مع حديثنا هذا . وهو ما اختاره أكثر العلماء .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

ما يؤخذ من الحديث

١ - صيام رمضان يجب برؤية الهلال .

٢ - إن تعذرت الرؤية فعلى المسلمين أن يكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما .

٣ - إن تقاربت البلاد اعتبرت رؤية أهل البلد إلى أهل البلد الآخر القريب وإن تباعدت البلاد فلا تعتبر ، كما سبق تفصيله فى شرح الحديث .

من خصوصيات الصائمين

روى الإمام مسلم - بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » .

المفـــردات :

« الريان » على وزن فعلان من الري ، اسم علم على باب من أبواب الجنة خاص بالصائمين ، وهو مشتق من الري .

« فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » كرر نفي دخول غيرهم منه للتأكيد . وقوله : « فلم يدخل » معطوف على : « أغلق » .

المعنى :

يوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث فضل الصيام وكرامة الصائمين عند الله سبحانه وتعالى .

لقد خصهم الله سبحانه بدخولهم الجنة من باب مخصوص ، جزاء صبرهم على الجوع ، وتحملهم الظمأ ، وإخلاصهم في صومهم لله تعالى سرا وعلانية ، فناسب أن يكون جزاؤهم على صبرهم على الجوع والظمأ أن يدخلوا من باب خاص هو : الريان ؛ وقد ناسب اسم هذا الباب ولفظه معناه ، فهو مشتق من الري وهو مناسب لحال الصائمين الذين امتنعوا عن الطعام والشراب ، وصبروا على كل شهوات النفس .

ويلاحظ أنه بمعناه وهو الري قد اكتفى به عن الشبع ، وذلك لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه . أو يكون الظمأ أشد على الصائمين [illegible] . قال الزين بن المنير : إنما قال في الجنة ، ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة ، فيكون أبلغ في التشويق .

وقد أخرج النسائي وابن خزيمة هذا الحديث من طريق سعيد بن عبد الرحمن وغيره وزاد فيه : « من دخل شرب ، ومن شرب لا يظمأ أبدا » .

إنه كرم من الله رب العالمين ، للصائمين ، وتكريم لهم جزاء إخلاصهم في عباداتهم. ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بجزاء الصائمين كما جاء في الحديث « الصيام لي وأنا أجزي به » .

وجزاء الله لهم وافر وعظيم وغير محدد ولا معين ، وأما دخول الصائمين من هذا الباب فهو زيادة لهم في الجزاء والتكريم .

وواضح أن للجنة أبوابا ، منها باب للصلاة ، وآخر للجهاد ، وآخر للصيام ، وهو الريان الذي نحن بصدد الحديث عنه ، ومنها : باب الصدقة .

وقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم .

ما يؤخذ من الحديث

١ – فضل الصيام وكرامة الصائمين عند الله سبحانه وتعالى .

٢ – رحمة الله تعالى بعباده المتقين ومضاعفة الثواب لهم .

٣ – للصائمين باب في الجنة خاص بهم وهو « الريان » إكراما لهم من الله تعالى .

❁ ❁ ❁

النهى عن الوصال

روى الامام مسلم رحمه الله - بسنده - عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نهى عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : إنى لست كهيئتكم إنى أطعم وأسقى .

وفيما رواه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل. قال رسول الله ﷺ: وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى . فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال ، فقال : لو تأخر الهلال لزدتكم - كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا .

المفـــردات :

(نهى عن الوصـــال) مفعول الفعل : نهى ، محذوف وتقديره : نهى المسلمين أو نهى أصحابه .

ومعنى : الوصال : صوم يومين فصاعدا من غير أكل أو شرب بينهما .

(وأيكم مثلى) استفهام توبيخى يفيد الاستبعاد ، والواو عاطفة على جملة تقديرها : [illegible] وأيكم مثلى ؟

([illegible] الهلال) المراد هلال شوال ، فالوصال كان فى آخر شهر رمضان .

المعـــنى :

من المعلوم أن على المسلمين أن يتخذوا أسوتهم من رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحرصون على الاقتداء بالرسول ﷺ فى كل أمورهم وشئونهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، مصداقا لقول الله سبحانه [illegible] :

﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن [illegible] الآخر وذكر الله [illegible]

ولكن هناك أمورا يختص بها الرسول ﷺ ، فلا يقتدى به فيها .

وواضح أن كل حكم ثبت فى حق النبى ﷺ ، فهو ثابت أيضا فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل ، كبعض خصائصه ﷺ ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به فى جميعها ، وقد توقف فى ذلك إمام الحرمين ، وقال أبو شامة : ليس لأحد التشبه به فى المباح ، كالزيادة على أربع نسوة ، ويستحب التنزه عن المحرم عليه كالأكل من الصدقة ، ويستحب التشبه به فى الواجب عليه كالضحى .

وأما المستحب فى حقه ﷺ فلم يتعرض له ، والوصال منه فيحتمل أن يقال إن لم ينه عنه لم يمنع الائتساء به فيه لبعض الناس وفى بعض الأحوال ، وهذا نادر ، وأما الأعم والأغلب فهو ما وردت به السنة الصحيحة الصريحة فى ذلك من النهى عن الوصال .

وقد نص الامام الشافعى وأصحابه على كراهة الوصال فى الصيام ولهم فى هذه الكراهة وجهان :

أولهما وأصحهما أنها كراهة تحريم .

والثانى كراهة تنزيه . وقد قال جمهور العلماء بالنهى عن الوصال .

وقال القاضى عياض : اختلف العلماء فى أحاديث الوصال ، فقيل : النهى عنه رحمة وتخفيف ، فمن قدر فلا حرج ، وقد واصل جماعة من السلف الأيام .

وأجازه ابن وهب وأحمد وإسحاق إلى السحر ، ثم حكى عن الأكثرين كراهته .

وقال الخطابى وغيره : الوصال من الخصائص التى أبيحت لرسول الله ﷺ ، وحرمت على الأمة .

واحتج الجمهور ، بعموم النهى عن الوصال ، وأما الذين أباحوه فاحتجوا بما جاء فى بعض طرق مسلم : نهاهم عن الوصال رحمة بهم .

وفى هذا الحديث الذى معنا ، أنهم لما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال وهو هلال شوال لأن الوصال بهم كان فى آخر شهر رمضان ، وقال لهم . لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا .

وفى بعض الروايات : لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم ، وإنما واصل بهم يوما بعد يوم لتأكيد زجرهم وبيان الحكمة فى نهيهم وتوضيح ما يترتب على الوصال من الملل والتعرض للتقصير فى بعض وظائف الدين .

وأما قول الرسول ﷺ : « إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » فقد قيل فى معناه : أنه يطعم من طعام الجنة كرامة له ، وقيل : يجعل الله سبحانه وتعالى فيه قوة الطاعم الشارب وهذا أصح ، لأنه إن أكل حقيقة لم يكن حينئذ مواصلا ، ومما يوضح هذا ما جاء فى رواية أخرى : « إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى » ومعنى ظل لا يكون إلا فى النهار ، ولا يجوز الأكل الحقيقى فى النهار . وفى النهى عن الوصال رحمة وتيسير بالأمة ، فمنهج الاسلام قام على الاعتدال والقصد فى الأمور كلها ، لا إفراط ولا تفريط ، قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ وقال ﷺ « هلك المتنطعون » أى الذين يبالغون ويتشددون فى الأمور ، وقال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا » .

ما يؤخذ من الحديث

١ – مسارعة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فى الاقتداء بالرسول ﷺ .

٢ – للرسول ﷺ خصوصيات لا يشاركه فيها أحد من أمته والاقتداء به فى غير هذه الخصوصيات .

٣ – النهى عن الوصال فى الصيام .

٤ – يسر الشريعة الاسلامية وسماحتها .

٥ – رأفة الرسول ﷺ ورحمته بأمته .

٦ – الزجر عن كل ما يسبب الملل من العبادة أو التعرض للتقصير فيها .

❁ ❁ ❁

جواز الصوم والفطر للمسافر

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى – بسنده – عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أخبره أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، قال : وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره .

المفـــردات :

(خرج عام الفتح) المراد بالفتح : فتح مكة ، وكان سنة ثمان من الهجرة .

(الكديد) : عين جارية على اثنين وأربعين ميلا من مكة ، وقالوا : بينها وبين مكة قريب من مرحلتين .

وفى حديث آخر :

(فصام حتى بلغ كراع الغميم) وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف إليه هذا الكراع وهو جبل أسود متصل به و (الكراع) كل أنف سال من جبل أو حرة .

(الأحدث فالأحدث) . أى الآخر من أفعاله صلوات الله وسلامه عليه .

المعـــنى :

لقد رخص الإسلام فى الفطر للصائم المسافر ، تيسيرا عليه ورحمة به ، لأن الإسلام دين اليسر والرحمة ، وعلى المسافر الذى أفطر يوما من الأيام لعذر السفر أن يقضى ما أفطره من شهر رمضان بعد ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

ويرى جمهور العلماء أن الصوم فى السفر جائز وأنه إذا صام المسافر ينعقد صومه

ويجزيه

واختلفوا أيهما أفضل الصوم أم الفطر أم أنهما سواء ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والأكثرون : الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر ، فإن لحقه ضرر فالفطر أفضل . واحتجوا بصوم النبى ﷺ ، وعبد الله بن رواحة وغيرهما ، وبغير ذلك من الأحاديث ، ولأنه يحصل به براءة الذمة فى الحال .

وقال سعيد بن المسيب والأوزاعى وأحمد وإسحاق وغيرهم : الفطر أفضل مطلقا ، وحكاه البعض للشافعى وهو غريب .

وقال بعض أهل الظاهر : لا يصح صوم رمضان فى السفر . فإن صامه لم ينعقد ، ويجب قضاؤه لظاهر الآية ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ ولحديث : « ليس من البر الصيام فى السفر » ، وفى الحديث الآخر « أولئك العصاة » .

وقال بعض العلماء : الصوم والفطر سواء لتعادل الأحاديث والصحيح الذى نرجحه من هذه الآراء هو رأى الأكثرين أن الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر ، فإن لحقه ضرر فالفطر أفضل .

والحديث الذى معنا يوضح ما فعله رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره ، فقد خرج عام الفتح سنة ثمان من الهجرة فى شهر رمضان وصام ، حتى وصل المكان المسمى الكديد ، وهى عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها وبينها وبين مكة قرب مرحلتين ، وهى أقرب إلى المدينة من عسفان .

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على أن للمرء أن يفطر ، ولو نوى الصيام من الليل وأصبح صائما ، فله أن يفطر فى أثناء النهار وهو قول الجمهور . وقطع به أكثر الشافعية ، وفى وجه : ليس له أن يفطر ، واستند أصحاب هذا الرأى إلى ما وقع عند البويطى من تعليق القول به على صحة حديث ابن عباس هذا ، فيما لو نوى الصوم فى السفر .

أما لو نوى الصوم وهو مقيم ثم سافر فى أثناء النهار فقد منع الجمهور أن يفطر ، وقال أحمد وإسحاق بالجواز ، واختاره المزنى محتجا بهذا الحديث فقيل له : قال كذلك ظنا منه أنه ﷺ أفطر فى اليوم الذى خرج فيه من المدينة وليس كذلك ، فإن بين المدينة والكديد عدة أيام .

وأجاز الجمهور للمسافر لمن اطلع عليه الفجر فى سفر

« وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » ﷺ وهو محمول – كما قال النووي – على ما علموا منه النسخ أو رجحان الثاني مع جوازهما .

وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى : « .. فصام رسول الله ﷺ وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر » في هذا دلالة لمذهب الجمهور في جواز الصوم والفطر جميعاً .

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : أولئك العصاة ، أولئك العصاة .

وهذا القول منه ﷺ محمول على من تضرر بالصوم في السفر أو أن هؤلاء الذين ظلوا صائمين ، أمروا بالفطر أمرا جازما لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب .

ما يؤخذ من الحديث

١ – يسر الشريعة الإسلامية وعدم الحرج والمشقة فيها ؟

٢ – الصوم والفطر جائزان للمسافر ، ويرى أكثر العلماء أن الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر ، فإن لحقه ضرر فالفطر أفضل .

٣ – حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء الكامل برسول الله ﷺ وتتبع الأحدث فالأحدث من أمره .

٤ – مراعاة الرسول ﷺ لأحوال المسلمين وحرصه على مصلحتهم ومنفعتهم .

٥ – إباحة الفطر للمسافر إذا كان سفر طاعة أو سفرا مباحا كالتجارة والزيارة وأما سفر المعصية فلم يبح الفطر أكثر العلماء ، وتقدر المسافة التي يجوز الفطر فيها للصائم المسافر بثلاثة مراحل عند الشافعية وتقدر عند الأحناف بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة ويكفي أن يسافر في كل يوم فيها من الصباح إلى الزوال بسير الإبل والمشي على الأقدام وهي تبلغ ستة عشر فرسخا ، والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع وهذه المسافة تساوي ثمانين كيلو ونصف كيلو ، ومائة وأربعين مترا ، ولا يضر النقصان القليل . وهو مذهب المالكية والحنابلة وقيل : أنها أربعة وثمانون كيلو متر .

حكم صيام يوم الجمعة

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم .

المفـــردات :

(ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام) أي لا تقصدوه وحده دون غيره بإفراده بالصوم فيه.

(إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم) أي بأن يوافق عادة له أو أن يصل صومه بيوم قبله أو بعده ، أو أن ينذر أن يصوم يوم شفاء مريضه فوافق يوم الجمعة .

المعـــنى :

يوم الجمعة يوم عبادة وذكر ودعاء ، فيه يتأهب المسلمون للاجتماع في بيوت الله ، فيغتسلون ويتنظفون ويلبسون أحسن الثياب ، ويبكرون إلى الصلاة منتظرين بها ، ويستمعون إلى خطبة الجمعة ، ويكثرون من ذكر الله سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا ﴾ .

وفي هذا الحديث نهي عن صيام يوم الجمعة ، وهو حجة لمذهب جمهور أصحاب الشافعي وموافقيهم على كراهية إفراد يوم الجمعة بالصوم إلا أن يوافق عادة له . أما إذا وصل صيامه بيوم سابق له أو يوم لاحق به ، أو وافق صيامه عادة له ، بأن نذر أن يصوم يوم شفاء مريضه مثلا ، فوافق شفاؤه يوم الجمعة فلا كراهة حينئذ في صومه .

ولكن الامام مالكا قال في الموطأ : لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى نهى عن صيام يوم الجمعة ، وصيامه حسن ، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه .

قال الامام النووى رحمه الله : فهذا الذى قاله هو الذى رء ، وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو ، والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره ، وقد ثبت النهى عن صوم يوم الجمعة ، فيتعين القول به ، ومالك معذور ، فإنه لم يبلغه .

وقال الداودى من أصحاب مالك : لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه .

وقال ابن المنذر : ثبت النهى عن صوم يوم الجمعة كما ثبت عن صوم يوم العيد ، وهذا يشعر بأنه يرى تحريمه ، إلا أن هناك فرقا بين العيد وبين الجمعة ، إذ أن الإجماع منعقد على تحريم صيام يوم العيد ، حتى ولو صام يوما قبله ويوما بعده .

والأصح أن النهى فيه للتنزيه ، وهو ما ذهب إليه الجمهور ، وأما عن الحكمة فى النهى عن أفراد هذا اليوم بالصيام فيه .

فلكون هذا اليوم عيدا ، وقد جاءت بعض الروايات بتسمية يوم الجمعة بالعيد ، وبالنهى عن جعل يوم العيد يوم صوم ، ففيما رواه أحمد : « يوم الجمعة يوم عيد ، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » . ولكن هذا التعليل استشكل بوقوع الاذن من الشارع بصومه مع غيره ، وأجاب ابن القيم وغيره بأن شبهه بالعيد لا يستلزم الاستواء من كل وجه ، ومن صام معه غيره ، انتفى عنه صورة التحريم بالصوم.

ومن الأقوال التى ذكرت فى السبب فى كراهة صيامه : لئلا يضعف عن العبادة ، وهذا ما رجحه الامام النووى ، فيستحب الفطر فى يوم الجمعة ، ليكون فى هذا عون للمسلم على كثرة العبادة والذكر والقيام بالوظائف المطلوبة منه فى ذلك اليوم ، وأداء أعمال يوم الجمعة بنشاط وارتياح ، وسرور وانشراح ، دون ملل أو سآمة ، كما يستحب للحجاج الفطر يوم عرفة بعرفة .

فإن قيل : لو كان كذلك لم يزل النهى والكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى والجواب : أنه يحصل بفضيلة الصوم الذى قبله أو بعده ما يجبر ما يحصل من فتور أو تقصير فى وظائف يوم الجمعة وغيرها .

وقيل فى سبب كراهة صومه . خوف المبالغة فى تعظيمه بفتتن الناس به كما فتن اليهود بالسبت ، قال فى الفتح وهو منتقض بثبوت تعظيمه بغير صيام .

ومع ذلك أيضا : خشية أن يفرض عليهم صيامه ، كما خشى رسول الله ﷺ من قيام الليل كذلك ، ولكن هذا السبب منتقض بجواز صومه مع غيره ، وبأنه لو كان السبب ذلك لجاز صومه بعد الرسول ﷺ لارتفاع الخشية المذكورة .

ومن ذلك : مخالفة النصارى ، لأنه يجب عليهم صومه ونحن مأمورون بمخالفتهم وهو ضعيف .

والذى نرجحه هو كراهة صومه لئلا يضعف المسلم فى يوم الجمعة عن القيام بالعبادات والذكر والدعاء وغير ذلك من وظائف هذا اليوم المبارك .

ما يؤخذ من الحديث

١ – النهى عن تخصيص ليلة الجمعة بصلاة من بين الليالى وعن تخصيص يوم الجمعة بصوم .

٢ – استدل العلماء بهذا الحديث على كراهة الصلاة المبتدعة التى تسمى الرغائب فإنها بدعة منكرة .

٣ – جواز صيام يوم الجمعة إذا وافق عادة له أو نذرا أو تقدمه بصوم أو صام بعده .

❁ ❁ ❁

(٤١) تأخير قضاء رمضان

روى الامام بسنده عن أبى سلمة قال : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : كان يكون علىّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا فى شعبان الشغلُ من رسول الله ﷺ ، أو برسول الله ﷺ .

المفـــردات :

(الشغل) بالرفع أى يمنعنى الشغل برسول الله – ﷺ – ويجوز أن يرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف .

والتقدير : الشغل هو المانع لها ، ويجوز أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : المانع لها الشغل .

والمعنى : أنها كانت مهيئة نفسها لرسول الله ﷺ .

المعـــنى :

إذا أفطر الإنسان فى رمضان بعذر فإن القضاء يكون فى حقه واجبا على التراخى ، ولا يشترط أن يسارع القضاء أول ما يتمكن ، وهذا هو مذهب الأئمة : مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وجماهير السلف والخلف ، ولكنهم قالوا : لا يجوز تأخير قضاء رمضان عن شعبان الآتى ، لأنه يؤخره حينئذ إلى زمان لا يقبله وهو رمضان الآتى ، فصار كمن أخره إلى الموت ، كما قال الجمهور : تستحب المبادرة بالقضاء للاحتياط فيه .

وذهب داود إلى وجوب المبادرة بالقضاء فى أول يوم بعد العيد من شوال .

فإن أخر القضاء فيجب عليه العزم على فعله ، وأجمع العلماء على أنه لو مات قبل خروج شعبان لزمه الفدية فى تركه عن كل يوم مد من طعام ، هذا . إذا تمكن من القضاء ولم يقض . وأما من أفطر فى رمضان بعذر ثم اتصل عجزه فلم يستطع أن يصوم إلى أن مات فليس عليه صوم ولا إطعام ولا يصوم أحد عنه

وعند الجمهور أن القضاء لأيام شهر رمضان يجوز مفرقا غير مرتب لكن يندب أن يكون مرتبا . وأما أهل الظاهر ، فأوجبوا تتابع أيام القضاء كما يجب الاداء .

في هذا الحديث توضح السيدة عائشة رضى الله عنها العذر في تأخير القضاء حيث كانت هي وكل واحدة من أمهات المؤمنين مهيئة نفسها لرسول الله ﷺ ، ولم تستأذنه في الصوم مخافة أن يأذن وقد يكون له حاجة فتفوتها عليه ، وهذا من أدب أمهات المؤمنين وخلقهن العالي ، وحسن معاشرتهن وإجلالهن لرسول الله ﷺ .

وقد اتفق العلماء على أن المرأة لا يحل لها صوم التطوع وزوجها حاضر إلا بإذنه .

وإنما صامت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها في شهر شعبان لأن رسول الله ﷺ كان يصوم معظم شعبان ، فلا حاجة له فيهن حينئذ في النهار .

وعبارة : « الشغل من رسول الله ﷺ » قائلها هو : يحيى الراوي المذكور بالسند .

وفي رواية الإمام مسلم التي معنا في هذا الحديث جاءت هذه العبارة مدرجة فلم يقل قال : يحيى ، فأصبحت العبارة كأنها من كلام السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها و من روى عنها .

وأما رواية الامام البخاري فقد ورد فيها التصريح حيث ذكر قائلها قال : « قال يحيى : الشغل من النبي أو بالنبي ﷺ » .

وقد ترجم الامام البخاري لهذا الموضوع بقوله : باب متى يقضى قضاء رمضان ؟ وقال ابن عباس : لا بأس أن يفرق لقول الله تعالى : « فعدة من أيام أخر . وقال سعيد بن المسيب في صوم العشر : لا يصلح حتى يبدأ برمضان ، وقال إبراهيم : إذا فرط حتى جاء رمضان آخر يصومهما ولم ير عليه إطعاما ويذكر عن أبي هريرة مرسلا . وعن ابن عباس أنه يطعم .

وقد صرح ابن حجر في فتح الباري بأن أثر أبي هريرة قد وجده موصولا من طرق ، فأخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عطاء ، عن أبي هريرة قال : أي إنسان مرض في رمضان ثم صح فلم يقضه حتى أدركه رمضان آخر فليصم الذي حدث ثم يقضي الآخر ويطعم مع كل يوم مسكينا ، قلت لعطاء : كم بلغك يطعم ؟ قال مدا .

ما يؤخذ من الحديث

١ - جواز تأخير قضاء رمضان مطلقا سواء كان لعذر أو لغير عذر بشرط الذي ثالثة فعله .

٢ - لا يجوز تأخير القضاء حتى يدخل رمضان آخر .

٣ - من أخر القضاء حتى دخل رمضان آخر فعليه القضاء ويطعم مع كل يوم مسكينا .

٤ - حب أمهات المؤمنين وإجلالهن لرسول الله ﷺ . وأدبهن العالي الرفيع .

* * *

فضل صوم المحرم

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : افضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل .

المعنى :

فى هذا الحديث ، يوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، نوعا من أنواع صيام التطوع ، وهو شهر المحرم ، ومعلوم أن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه بالفرائض أولا ، ثم النوافل ثانيا . والنوافل أنواع ، وبعضها أفضل من بعض وقد جاء فى الحديث : « وما تقرب عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه .. إلخ الحديث » .

ففى هذا دلالة على أن التقرب بالفرائض أولا ثم يكون دور النوافل وفى هذا الحديث الذى معنا ، توضيح لأفضل أيام الصيام من النفل بعد صيام شهر رمضان الذى هو فرض . وذلك بصيام شهر الله المحرم ، وفى هذا تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم .

ومما يدل على فضله كذلك إضافته إلى الله سبحانه وتعالى وتسميته « شهر الله » .

وقد سئل الرسول ﷺ : أى الصيام بعد رمضان أفضل ؟

قال : شهر الله المحرم . وإذا كان لشهر المحرم هذه المكانة وهذه الفضيلة فلم كان رسول الله ﷺ يكثر من الصيام فى شهر شعبان دون المحرم ؟

والجواب على هذا نقول : لعل رسول الله ﷺ قد أعلمه الله سبحانه وتعالى بفضيلة الصيام فى شهر المحرم فى آخر حياته . أو لعله كان يعلم ما لشهر المحرم من فضل ولكنه كانت تعرض له فيه بعض أعذار تمنع من الصيام كالسفر أو المرض أو غيرهما .

ومما يدل على فضيلة الصيام فى المحرم ما أخرجه الترمذى عن على وحسنه أنه سمع رجلا يسأل رسول الله ﷺ وهو قاعد ، فقال : يا رسول الله ، أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد

شهر رمضان ؟ فقال : « إن كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم ، فإنه شهر الله ، فيه يوم تاب فيه على قوم ، ويتوب فيه على قوم » .

كما يوضح الحديث كذلك تأكيد استحباب قيام الليل ومشروعية الاستكثار من الصلوات فيه .

وقد قال بعض العلماء : إن هذا الحديث مخصص لعموم ما عند البخارى والترمذى وصححه ، والنسائى وأبى داود من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر » فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ فقال : « ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ » .

قال فى نيل الأوطار : وهذا إذا كان كون الشئ أحب إلى الله يستلزم أنه أفضل من غيره . وإن كان لا يستلزم ذلك فلا حاجة إلى التخصيص لعدم التنافى .

ما يؤخذ من الحديث

١ - صيام شهر المحرم أفضل الشهور بعد صيام شهر رمضان .

٢ - فى الحديث دليل على ما اتفق العلماء عليه من أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار .

٣ - وفى الحديث حجة لأبى إسحاق المروزى ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة ، وقال بعض العلماء : الرواتب أفضل ، لأنها تتبع الفرائض قال النووى رحمه الله : والأول أقوى وأوفق للحديث .

✿ ✿ ✿

ليلة القدر

روى الإمام مسلم بسنده عن عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زر بن حبيش يقول : سألت أبي بن كعب رضي الله عنه ، فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله : أراد ألا يتكل الناس ، أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف لايستثني أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت : بأي شيء تقول ذلك ياأبا المنذر ؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها .

المفـــردات :

(ثم حلف لايستثني) : أي لايستثني في حلفه .

(أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها) : الضمير في « أنها » يعود على معلوم في الذهن وهو الشمس ، وحذفت للعلم بها ، ونظير عود الضمير الى معلوم قول الله تعالى : « توارت بالحجاب » .

و « الشعاع » : هو مايرى من ضوئها عند ظهورها ، وقيل : هو انتشار ضوئها أو ماتراه ممتدا بعد الطلوع ، وهي علامة جعلها الله لهذه الليلة ، والمشهور ماذكره أهل اللغة بأنه مايرى من ضوئها عند بروزها مثل الحبال ، والقضبان مقبلة اليك اذا نظرت اليها .

المعـــنى :

في هذا الحديث بيان لما كان عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من حرص أكيد على العبادات ، ومضاعفة الطاعات ، ومع ماكانوا عليه من تحين أيام الخير والبركة ، وإحيائها بما ينبغي من الذكر والعبادة وسائر القربات ، مع هذا ، فإنهم ماكانوا يتكلون على تلك الأيام أو بعض الليالي الفاضلة ، بل كانت جهودهم [illegible] العبادة موزعة على سائر أيام السنة ، وفي هذا الحديث توضيح لما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « من يقم الحول يصب ليلة القدر » [illegible] أن يقيم الناس الحول كله حتى لايتكلوا على [illegible]

وأنه يهملوا باقى أيام السنة من العبادات والطاعات . مع أنه كان يعلم أن ليلة القدر فى شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، وحلف لايثنى أنها ليلة سبع وعشرين .

ولما سئل عن علامتها قال : بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لاشعاع لها . أى أن الشمس تطلع يومها لاشعاع لها ، والشعاع كما ذكر أهل اللغة هو مايرى من ضوئها عند بروزها مثل الحبال والقضبان مقبلة إليك إذا نظرت اليها . وقيل : هو الذى تراه ممتدا بعد الطلوع وقيل : هو انتشار ضوئها . قال القاضى عياض : قيل معنى لاشعاع لها أنها علامة جعلها الله تعالى لها .

قال : وقيل بل لكثرة اختلاف الملائكة فى ليلتها ونزولها إلى الأرض وعروجها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها .

ومما ورد بشأن بعض علاماتها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ فقال : « أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة » ؟ أخرجه مسلم . وفى هذا الحديث إشارة إلى أن ليلة القدر إنما تكون فى أواخر شهر رمضان، لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا فى أواخر الشهر .

ومما ورد بشأنها كذلك عن عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ قال : أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأرانى صبحها أسجد فى ماء وطين قال : فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه قال : وكان عبد الله بن أنيس يقول : ثلاث وعشرين . أخرجه مسلم . أى « ليلة ثلاث وعشرين » على حذف مضاف وهى لغة شاذة أما الرواية الأخرى فهى : « ثلاث وعشرون » .

وأرجح الأقوال أنها فى الوتر من العشر الأواخر ، وأرجى الليالى عند الجمهور ليلة سبع وعشرين .

وقد روى عبد الرزاق عن ابن عباس قال : دعا عمر أصحاب رسول الله ﷺ ، وسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر قال ابن عباس : فقلت لعمر إنى لأعلم وأظن أى ليلة هى ، قال عمر : أى ليلة هى ؟

فقلت سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر فقال : من أين علمت ذلك - فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين . وسبعة أيام ، والدهر يدور فى سبع ،

والإنسان خلق من سبع ، ويأكل من سبع ، وسجد على سبع ، والطواف والجمار وأشياء ذكرها . فقال عمر :

لقد فطنت لأمر مافطنا له . وقد أخرج نحو هذه القصة الحاكم[1] أ . هـ . وليلة القدر موجودة ومحققة بنص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ففيها تتنزل الملائكة والروح من أجل كل أمر قضاه الله سبحانه وتعالى ، وقيل : إن الملائكة لايلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه وأن الله تعالى لايقدر فيها إلا السلامة والخير ، وأما فى غيرها فيقضى سلامة وبلاء ، أو ماهى إلا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين .

ويقول الإمام النووى رحمه الله تعالى : واعلم أن ليلة القدر موجودة فإنها ترى ، ويتحققها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان ، كما تظاهرت عليه هذه الأحاديث السابقة فى الباب وأخبار الصالحين بها ، ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر[2] أ هـ .

وقد اختصت الأمة الإسلامية بهذه الليلة المباركة « ليلة القدر » وجعلها الله تعالى لنا خيرا من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وقد جاء فى سبب اختصاص هذه الأمة بليلة القدر أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه ، وتقاصرت اليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة القدر هى خير من مدة ذلك الغازى .

وقيل : إن الرجل فيما مضى ماكان يقال له : عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر ، فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق أن يسموا عابدين من أولئك العباد ، وقيل : أرى النبى عليه الصلاة والسلام أعمار الأمم كافة ، فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لايبلغوا من العمل مثل مابلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر ، وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم إلى غير ذلك من الآراء التى ذكرت فى شأنها . وأهم ماينبغى التنبيه إليه أنها ليلة ذات قدر وشرف ، على المسلم أن يتتهزها بالعبادة وألا يحرم نفسه فيها من الدعاء ، ويكثر من قوله : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ماأقول فيها ؟ قال : قولى « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » رواه الترمذ وأحمد وابن ماجه .

---

(١) نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٣١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٣ ص ٢٤٠ .

وعلى المسلم أن يحرص على قيامها ، وإحيائها بالعبادة ، لما يترتب على ذلك من غفران الذنوب ، ومن المثوبة الكريمة ، والأجر المضاعف ففى الحديث « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » .

ما يؤخذ من الحديث

١ – حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على سائر العبادات فى سائر العام ، وعدم الاتكال على بعض الأيام الفاضلة .

٢ – تعيين ليلة القدر وانتظارها فى العشر الأواخر من شهر رمضان وفى الوتر من العشر الأواخر .

٣ – ترجيح رأى الجمهور أن ليلة القدر هى ليلة السابع والعشرين .

من علامات ليلة القدر أن الشمس تطلع يومها لاشعاع لها .. إلى غير ذلك من العلامات التى جاءت بها بعض الروايات .

صوم عشر ذى الحجة

روى الامام مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ صائما فى العشر قط .

وروى الامام مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ لم يصم العشر .

وروى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ أنه قال : « ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذه ، قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد إلا رجل يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء .

المفـــردات :

(العشر) المراد بها : الأيام التسعة من أول ذى الحجة .

(ما العمل) العمل يشمل كثيرا من أنواع العبادات من صلاة وصوم وتكبير وذكر وغير ذلك .

(إلا رجل) أى إلا عمل رجل . فهو مرفوع على البدل ، والاستثناء متصل .

(يخاطر) من المخاطرة ، وهى ارتكاب مافيه مشقة وجملة : « يخاطر » فى محل نصب حال .

المعـــنى :

فى الحديث الذى رواه الامام مسلم أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت مارأيت رسول الله ﷺ صائما فى العشر فقط وفى الرواية الثانية « لم يصم العشر » وقبل أن نوضح المراد بحديث الامام مسلم ، ونوفق بينه وبين ماجاء فى صحيح البخارى من فضل العمل فى أيام العشر . نريد أن نبين أولا المراد بالعشر فنقول : إن المراد بالعشر : العشر الأول من ذى الحجة ومعلوم أن اليوم العاشر وهو يوم العيد ، خارج من عبادة الصيام إذ يحرم

صومه ولكنه داخل فى سائر العبادات الأخرى من صلاة وتكبير وتحميد وتهليل وذكر . وإطلاق العشر عليها مع تحريم صوم يوم العيد محمول على الغالب .

وإذا أطلقت الأيام دخلت فيها الليالى كذلك تبعا ، وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بها فى قوله : ﴿ والفجر وليال عشر ﴾ .

قال المفسرون[1] : المراد بالعشر فى الآية الكريمة عشر ذى الحجة وقيل : المراد العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر بن جرير ، ويروى عن ابن عباس ﴿ وليال عشر ﴾ قال : هو العشر الأول من رمضان .

والأصح أن المراد بها عشر ذى الحجة ، لما رواه الإمام أحمد بسنده عن جابر عن النبى ﷺ قال : « إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ولحديث جابر فى صحيحى أبى عوانة وابن حبان : « ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة » .

وقد ذكر الإمام البخارى فى باب فضل العمل فى أيام التشريق قول ابن عباس : ﴿ ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات ﴾ أيام العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق ، وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق فى أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ، وكبر محمد بن على خلف النافلة .

وعن ابن عباس قال : الأيام المعلومات التى قبل يوم التروية - وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ، ويوم التروية ، ويوم عرفة ، والمعدودات أيام التشريق ، إسناده صحيح ، وتسمية أيام التشريق معدودات متفق عليه ، لقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات ﴾ .

وقد قيل : إنما سميت معدودات ؛ لأنها إذا زيد عليها شئ عد ذلك حصرا أى فى حكم حصر العدد[2] .

ونعود إلى توضيح المراد من حديث الإمام مسلم والتوفيق بينه وبين حديث البخارى ، إذ أن حديث السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى صحيح مسلم ينفى صوم رسول

---

(١) تفسير ابن كثير وأبو السعود .

(٢) فتح البارى ج ٣ / ٦١٠ .

الله ﷺ للعشر فهى تقول : « ما رأيت رسول الله ﷺ صائما فى العشر قط » وفى رواية أخرى تقول « لم يصم العشر » فهذا يوهم كراهة صوم أيام العشر .

وحديث البخارى يثبت فضل العمل فى تلك الأيام وفضل العبادة فيها من صوم وصلاة وذكر وغير ذلك .. وللتوفيق بين الحديثين نقول :

أنه ليس فى صوم هذه الأيام كراهة بل إنها مستحبة استحبابا شديدا ، لاسيما اليوم التاسع منها وهو يوم عرفة .

وأما قول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها « لم يصم العشر » فمعناه أن رسول الله ﷺ لم يصم العشر الأول من ذى الحجة إما لعارض مرض أو سفر أو نحو ذلك .

وإما لأن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، لم تر رسول الله ﷺ صائما فى هذه الأيام ، ولايلزم من ذلك عدم صيامه فى نفس الأمر .

قال الإمام النووى رحمه الله[1] : « ويدل على هذا التأويل حديث هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبى ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذى الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر الاثنين من الشهر والخميس » ورواه أبو داود وهذا لفظه وأحمد والنسائى أ هـ .

وهناك رواية أخرى بلفظ : « ما العمل فى أيام العشر أفضل من العمل فى هذه الأيام » مع إبهام الأيام وقد فسرها بعض العلماء بأنها أيام التشريق ، وهذا يقتضى تفضيل العمل فيها على العمل فى أيام العشر ، ووجهه البعض بأنها أيام غفلة والعبادات فى أيام الغفلة أفضل من غيرها كالقيام فى جوف الليل والناس نيام ، وبأنه وقع فيها محنة الخليل بولده عليهما السلام ثم من عليه بالفداء .

ولكن هذا معارض للمنقول من أن العمل فى أيام العشر أفضل من العمل فى غيرها بلا استثناء ، وإذا كان العمل فى أيام العشر أفضل ، لزم أن تكون أيامه أفضل من غيرها حتى يوم الجمعة أفضل منه فى غيره لجمعه الفضيلتين ، وقد أخرج البزار وغيره مرفوعا عن جابر « أفضل أيام الدنيا أيام العشر » وفى حديث ابن عمر « ليس يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة ليس العشر »[2] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى لشيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوى .

قل لى فى الإسلام قولا

عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال (قل آمنت بالله ثم استقم)

<u>معنى الحديث :</u>

فى هذا الحديث الشريف سأل سفيان بن عبد الله الثقفى رسول الله ﷺ أن يعلمه من أمر الإسلام ما يكون جامعا كافيا بحيث لا يحتاج بعده إلى سؤال أحد، فأجابه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله قل آمنت بالله ثم استقم. قال القاضى عياض رحمه الله : هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لقوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن توافوا على ذلك. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية **(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا)** قال : وإذا كان المراد بالإستقامة هى أن يستقيم المسلم على التوحيد فإن المراد بالتوحيد هو التوحيد الكامل الذى ينجى صاحبه من عذاب الله تعالى.

فإن الإله الواحد هو وحده المعبود الذى يطاع فلا يعصى خشية وإجلالا. ومهابة ومحبة ورجاء. وفعل المعاصى قادح فى التوحيد وفى عقيدة صاحبه لأن فعلها عصيان لله سبحانه وطاعة للشيطان والهوى وقد قال الله تعالى **(أفرأيت من اتخذ الهه هواه)** والإيمان يدخل فيه الأعمال الصالحة عندا لسلف ومن تابعهم من أهل الحديث. ولذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول **(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير)** فأمره أن يستقيم ومن تاب معه وأن لا يجاوزوا ما أمروا به ويبي بأنه بصير بالأعمال ومطلع عليها قال تعالى : (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم)، والإستقامة هى سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القيم دون اعوجاج ولا انحراف ويشتمل ذلك على فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك. وبهذا كانت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها. وتخلص من هذه الوصية الجامعة بتصحيح أمرين بهام سعادة الدنيا والآخرة وهما الركنان الهامان فى حياة المسلم. الأول :. الإيمان وذلك فى قوله أمنت بالله ففى ذلك إقرار بالربوبية واعتراف بالوحدانية وإعلان بالإسلام. الثانى : الإستقامة ومتى استقام القلب على توحيد الله فلم يلتفت إلى غيره واستقام على معرفة الله وخشيته وإجلاله

والإعراض عما سواه واستقامت جميع الجوارح على الطاعة. واهم ما ينبغى إستقامته بعدا لقلب هو اللسان فإنه الترجمان الـذى يعـبر عما فى القلب ولذا جاءت الوصية بحفظ اللسان بعد الإستقامة.

ما يؤخذ من الحديث :

١-حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على دينهم وعلى أخذ أمور الدين من رسولهم صلوات الله وسلامه عليه.

٢-أهمية الإيمان بالله وما له من أثر كبير فى سلوك المسلم.

٣-أهمية الإستقامة وأن الايمان لا يكمل إلا بها.

٤-ما اختص به رسول الله من جوامع الكلم.

٥-حرص الرسول ﷺ على هدية الأمة وإرشادها إلى ما فيه سعادتها دنيا وأخرى ورحمته بالمسلمين.

قتال أهل الردة ومانعي الزكاة

عن أبى هريرة قال : لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده. وكفر من كفر منا لعرب قال عمر بن الخطـــاب لأبـــى بكر. كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (**أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قـال ، لا إلـه إلا الله فقد عصـم منـى مالـه ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)**

فقال أبو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فـإن الزكاة حق المال. والله لو منعونى عقالا. كانوا يؤدونه إلى رســول الله ﷺ لقاتلته علي منعه.

فقال عمر بن الخطاب : **فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عـــز وجل وقد شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت أنه الحق.**

<u>معانى المفردات :</u>

(استخلف) السين والتاء للصيرورة ، أي صار **أبو بكر خليفة بعده** – وفى رواية وكان أبو بكر خليفة.

(وكفر مَن كفر من العرب) "من" موصولة ، "مِـن" حرف جر للتبعيض ، وقال العينى : للبيان، وهو حسن إذا جعلت أل فى العرب للجنس الصادق بالبعض

(وقد قال رسول الله ﷺ) الجملة فى محل النصب على الحال.

(أمرت) بالبناء للمجهول، أى أمر ربى وحذف الفاعل لتعيينه لأن الرسول ﷺ إذا قال أمرت يفهم منه أن الله تعالى أمره . فإذا قال الصحابى : أمرت يفهم منه أن الرسول ﷺ هو الذى أمره. فإن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال ذلك فهم أن الرئيس هو الذى أمر.

(أن أقاتل الناس) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف. والتقدير أمرت بمقاتلة الناس.

(حتى يقولوا لا إله إلا الله) حتى غاية لما قبلها وهو هنا القتال. وذكر شهادة أن لا إله إلا الله يراد معه وأن محمدا رسول الله لتلازمهما وعدم قبول إحداهما بدون الآخر.

(وعصم منى ماله ونفسه) معنى العصم فى اللغة : المنع والمراد حقنوا دماءهم وحفظوا أموالهم.

(إلا بحقه) أى بحق الإسلام.

(عقالا) العقال هو الحبل الذى يعقل به البعير.

المعنى العام للحديث :

فى أواخر أيام الرسول ﷺ ارتد ناس من مذحج. وعلى رأسهم الأسود العنسى الذى استولى على اليمن وأخرج عمال رسول الله ﷺ. كما ارتد ناس من بنى حنيفة وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب الذى كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. أما بعد فإن الأرض نصفها لى ونصفها لك.

فأجابه الرسول ﷺ. من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عبادة والعاقبة للمتقين.

وتوفى رسول الله ﷺ فارتد ناس من بنى تميم قوم سجاح التى تنبأت، وارتد غسان قوم جبلة بن الأيهم – وفزارة ، وغطفان، وبنو سعد، كل هؤلاء وكثير غيرهم ارتدوا عن دين الإسلام وأنكروا الشراء وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين. وعادوا إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية وانكمش المتمسكون بدينهم، وخافوا بطش المرتدين. وأخفوا عبادتهم حتى لم يعد يصلى فى بسيط الارض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس بالبحرين.

وهناك فريق آخر ظلوا مسلمين ولكنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وانكروا فرض الزكاة وأنكروا وجوب آدائها إلى الإمام. وكان ضمن هؤلاء المانعين للزكاة. من كان يسمح بالزكاة إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأى. وقبضوا على أيديهم فى ذلك. كبنى يربوع. فإنهم جمعوا صدقاتهم. ,ارادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر – رضى الله عنه – فمنعه مالك بن نويرة من ذلك. وفرقها فيهم. استقبل ابو بكر الصديق فى فجر خلافته هذه الصورة المزعجة. بناء الإسلام الشامخ يتصدع ويتهاوى وترتعد جوانبه. ويتفاقم فى كل يوم صدعه ويتسع فرقه، وترجف الأرض من تحته وهو خليفة رسول الله ﷺ المسئول أمام الله عن دينه فى ارضه. فماذا تراه يفعل.

إن من أبرز صفات ابى بكر لينه فى خلقه – ورقة قلبه، وإرهاف حسه إلى حد اشتهر معه فى المواقف المؤلمة بالبكاء وكل هذه الصفات لا تتناسب والظروف المحيطة بالإسلام . لكن شاءت إرادة الله أن يتحول أبو بكر من اللين إلى الصلابة ومن الرقة إلى الشدة. ومن الإرهاف العاطفى إلى خشونة العقل وصرامة الحكمة ففكر وقرر لكنه ما كان له أن يمضى إلى ما رأى حتى يعرض

الخطة على كبار الصحابة. عملا بقوله تعالى : وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله.

فجمعهم. واستعرض الحالة معهم، وأعلن لهم أنه يرى قتال كل من غير وبدل، وأنه يرى العلاج فى الحزم والحكم للسيف.

فقال له عمر بن الخطاب : إذا قاتلنا من ارتد وكفر ومن ادعى النبوة ومن تابعه فكيف نقاتل من منع الزكاة. وهو يشهد أن لا إله إلا الله وقد قال رسول الله ﷺ . أمرنى ربى أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله حقن منى دمه وحفظ منى ماله وحسابه فيما وراء ذلك على الله.

فقال له ابو بكر : أرأيت إذا لم يصلوا. فسلم عمر بقتال من امتنع عن الصلاة. وسكت وسكت الناس فقال أبو بكر وقد سكن قلبه إلى الرأى وشرح الله صدره لتنفيذه قال بصوت الحكيم الحازم. والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فإن الصلاة حق النفس. والزكاة حق المال. فمن صلى عصم نفسه. ومن زكى عصم ماله ومن لم يصل قوتل على ترك الصلاة. ومن لم يزك أخذت الزكاة منه قهرا. فإن نصب لنا الحرب قاتلناه. والله لو منعونى حبلا كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

ومرة أخرى سكت عمر وسكت الناس. لكنه فى هذه المرة لم يكن سكوت شك أو اضطراب بل كان سكوت رضى وإذعان حتى عمر نفسه لقد شرح الله صدره لخطة أبى بكر وبان لهم بالحجة والبرهان أنها الحق ووافق الجميع على القتال. وجهزا أبو بكر جيشا على رأسه خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وابتاعه. فنصر الله الإسلام وقتل مسيلمة باليمامة على يد وحشى. قاتل حمزة رضى الله عنه وكان وحش يقول قتلت خير الناس فى جاهليتى وشرها فى الإسلام.

وقتل العنسى بصنعاء وانقضت جموعهم. وهلك أكثرهم ولم يحول الحول إلا قد أعاد الإسلام نشر لوائه على ربوعه. وتماسك بناؤه. واستمسك به ابناؤه فنصر الله وجه أبى بكر – وشكر له صالح سعيه ورضى عنه شهداء المسلمين فى حروب الردة. وجزى قادة الإسلام خير الجزاء.

<u>ما يؤخذ من الحديث :</u>

١-شجاعة أبى بكر وتقدمه فى العلم على غيره وقد أجمع أهل الحق على انه من أفضل أمة رسول الله ﷺ.

٢-جواز مراجعة الأئمة والأكابر للوصول إلى الحق.

٣-جواز الحلف على فعل الشئ لتأكيده.

٤-القياس والعمل به.

٥-الإجتهاد فى النوازل وردها إلا الأصول والرجوع إلى الراجح.

٦-صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف

– ومحل عصمة أموال الكفار بالشهادتين إذا قالوها قبل حيازة أموالهم. أما بعد حيازتها فلا.

٧-وجوب قتال مانعى الصلاة أو الزكاة.

٨-وجوب قتال أهل البغى.

٩-الحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

١٠- استدل النووى بالحديث على أن تارك الصلاة عمدا معتقدا وجوبها يقتل. قال الحافظ بن حجر : وفي هذا الإستدلال نظر للفرق بين صيغة اقاتل أو أقتل. وحكي البيهقي عن الشافعي أنه قال : ليس القتال من القتل بسبيل. قد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله. وفى قتل تارك الصلاة عمدا خلاف واسع عند الفقهاء. فعند الحنفية يحبس إلى ان يحدث توبة ولا يقتل. وعند أحمد في رواية أكثر أصحابه أن تارك الصلاة عمدا يكفر ويخرج عن الملة. وعليه فحكمه حكم المرتد يقتل ولا ينسك ولا يصلى عليه وتبين منه امرأته. وعند الشافعية يقتل حدا. لا كفرا. قيل على الفور وقيل يمهل ثلاثة ايام.

١١- عدم تكفير أهل الشهادة من أهل البدع.

١٢- قبول توبة الزنديق. وفيها تفصيل خلاف يطلب فى محله.

إكرام الجار والضيف من الإيمان

أخرج الإمام مسلم فى كتاب الإيمان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيقل خيرا أو ليصمت)

ترجمة الراوى :

أبو هريرة هو صاحب رسول الله ﷺ عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسى من أزد اليمن دخل الإسلام فى العام السابع الهجرى. عام فتح خيبر. وكان عمره سبعا وعشرين عاما. وهو من المكثرين فى الرواية بل على رأس المكثرين من الرواية عن الرسول ﷺ فى عصره وكان أبو هريرة منقطعا إلى رسول الله ﷺ لا تشغله الشواغل إذا كان فقيرا لا مال له فينشغل بتنميته كما كان يفعل الأنصار ولم يكن من المشتغلين بالتجارة حتى تستنفذ الأسواق وقته كالمهاجرين ولم يكن ذا عائلة حتى تثقله مطالبها.

فكان قليل الحاجة تكفيه لقمة نقيم صلبة. ولذلك صرف كل وقته فى تتبع آثار الرسول ﷺ يحفظ ويحدث.

سمع من الرسول ﷺ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا. أتفق البخارى ومسلم على ٢٢٥ حديثا وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين حديثا ومسلم بمائة وتسعة وثمانين. وتوفى رضى الله عنه سنة ٥٨ هـ عن ٧٨ عام.

هذا هو أبو هريرة الصحابى الجليل الذى تحدث عنه الرسول كثيرا ولم يكذب عليه ابدا فاقتدى به الصالحون.

معانى المفردات :

(من كان يؤمن بالله واليوم الأخر) اى من كان يؤمن بهما إيمانا كاملا. واليوم الأخر هو يوم القيامة ويبدأ من قيام الناس من قبورهم أحياءا إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وسمى اخرا لأنه لا يوم بعده.

(فليكرم جاره) أى فليحسن إلى جاره – بالبشر وطلاقة الوجه – والفاء واقعة فى جواب الشرط. واللام لام الأمر، والجملة جواب الشرط فى قوله (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر).

(ضيفه) الضيف يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى ويجمع على أضياف وضيوف وضيفان.

(أو ليصمت) بكسر اللام وفتح الياء وضم الميم وقيل بكسرها أى يسكت.

المعنى العام :

الإيمان هو التصديق بوجود الله واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص ، والتصديق برسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والتصديق بوجود الملائكة الاطهار، وأن الساعة آتية لا ريب فيها والبعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار. قال تعالى **(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . لا نفرق بين أحد من رسله)** وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن الإيمان. فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره – فالإيمان عقيدة فى القلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح. هذا هو الإيمان الكامل. وأن المخل بالجزء الاول منافق وبالثانى كافر وبالثالث فاسق. وأن من وجد منه الاول مخلد فى النار. لالتصاقه بالتصديق وهو أول منزل من منازل الإيمان

والمراد بالإيمان فى الحديث. هو الإيمان الكامل والمعنى : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ايمانا كاملا فإنما خص الإيمان بالله واليوم الأخرَ إشارة إلى المبدأ والمعاد أى من آمن بالله الذى خلق وأمن بأنه سيجازيه بعمله فيفعل هذه الخصال المذكورات ومما هو جدير بالذكر أن الإيمان الكامل ليس مجرد عقيدة تمتلأ بها القلب إنما هو عقيدة وعمل فهو قوة باطنية. تثير الخوف من الله تعالى وتبعث على الخشية منه فمن آمن بالله تعالى وبما له من صفات إيمانا كاملا صار أمره بين خوف ورجاء ورغبة ورهبة وصلح ظاهره بصلاح باطنه. ففى الحديث الشريف. ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ومن أعمال الخير التى يأمر بها الرسول ﷺ فى هذا الحديث ما يأتى:

اولا : الا يؤذى المؤمن جاره. فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا كاملا. اقتضى ذلك أن يحسن إلى جاره وأن يكف عنه أذاه وهذه العبارة من الحديث تدل على عظم حق الجار وأن من أذى جاره كان ناقص الإيمان وقد عد إيذاء الجار من الكبائر لما ورد فيه من الوعيد. مثل قوله ﷺ (والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا لقد خاب وخسر من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقة أى

غوائله وشروره. وقد أوصى الله تبارك بالجار فى القرآن الكريم فقال جل شأنه **(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى)** (الذى قرب جواره) والجار الجنب (الذى بعد جواره) والصاحب بالجنب (أى الزوجة والرفيق فى أمر حسن كسفر أو تعلم علم فإنه يكن بجنبك) وابن السبيل (المسافر والضيف) وما ملكت أيمانكم (الأرقاء) إن الله لا يحب من كان مختالا (متكبرا يأنف من أقاربه وجيرانه) فخورا (يعدد مناقب أبائه على الناس ترفعا وتعاليا عليهم) أما حد الجار. فإنه يطلق على الساكن مع غيره فى بيت وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب. وقد أخرج الطبرانى أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى نزلت فى محل بنى فلان. وإن أشدهم لى أذى أقربهم إلى دارى فبعث النبى ﷺ أبا بكر وعمر وعليا رضى الله عنهم يأتون المسجد. فيصيحون على أ أربعين دارا جار. ولا يدخل الجنى من خاف جاره بوائقه، والأذية كل ما يعد فى العرف أذى. حتى ورد فى الحديث أنه لا يؤذيه بريح قدره إلا أن يغرف له من مرقه ولا يحجز عنه الريح إلا بإذنه. وإن اشترى فكاهة أهدى إليها منها والأذية محرمة مطلقا : لقوله تعالى : (**الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما**

اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) لكنها في حق الجار أشد تحريما وأعظم إثما. وقد بلغ من سماحة الإسلام أنه لم يفرق بين الجار المسلم والجار الذمى فكل له حق الجوار. وبلغ من عنايته بأمره أن كان جبريل يكرر الوصية للنبى ﷺ فى حق الجار. حتى ظن أنه سيجعل له فى جاره حق الميراث فعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ انه قال : مازال جبريل يوصينى بالجار" مسلما أو ذميا صديقا او عدوا بإيصال ضروب الإحسان إليه على حسب الطاقة كالهدية والسلام ورده وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه وكف أسباب الأذى عنه. وعن النبى ﷺ أنه قال : الجيران ثلاثة جار له حق وهو المشرك له حق الجوار وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وجار له ثلاثة حقوق وهو جار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم.

وقد جمع النبى ﷺ حقوق الجار فيما رواه معاذ بن جبل. قال قلنا يا رسول الله ما حق الجوار قال ان استقرضك أقرضته وإذا استعانك أعنته وإن مرض عدته وإذا احتاج أعطيته وإذ افتقر عدت عليه وإن اصابه خير هنئته وإن أصابته مصيبة عزيته وإن مات اتبعت جنازته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا

بإذنه ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها وإن اشتريت فاكهة فاهد له وإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغظ ولده فعلى المؤمن أن يبذل لجاره ما يحتاج إليه من فضل ما عنده بما لا يضر به إذا علم حاجته وأن يبدأ بنفسه وبمن تلزمنه نفقته فإن فضل شئ أعطى الاقرب إليه مسكنا لأنه الد من غيره لرؤيته ما يدخل بيت جاره فيتشوق إليه بخلاف الأبعد، فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله إن لى جارين فإلى ايهما أهدى قال : إلى اقربها منك بابا ويندب تقديم الأحوج فالاحوج خصوصا إذا كان ذا قرابة أو امرأة أرملة ومعها أيتام. وكما يطلب من المؤمن إكرام الجار مع الحائل يطلب منه إكرام الملكين اللذين ليس بينه وبينهما حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات. فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات. ويحزنان بوقوع السيئات فينبغى مراعاة حقهما بالإكثار من عمل الطاعات والتباعد عن المعاصى والمخالفات فهى أولى بالإكرام والإحسان من كثير من الجيران.

ثانيا : أن يكرم المؤمن من ضيفه : وإكرامه إحسان ضيافته بالبشر فى وجهه وطلب الحديث معه. وبسط الفراش له وإجلاسه فى صدر المجلس وإطعامه ثلاثة ايام بقدر وسعة من غير كلفة ولا إضرار بالاهل إلا إذا رضوا بذلك كما جاء فى قصة الانصارى

وزوجته مع ضيفهما الى نزل فيها قول الله تعالى **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابنى الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله ﷺ ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الانصار فقل أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته : ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا. قالت : والله ما عندى إلا قوت الصبية. قل : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفىء السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عز وجل فأنزل الله عز وجل **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** فالواجب إكرام الضيف مدة ثلاثة ايام لاسيما فى اليوم الأول ليلته أما ما زاد على الثلاثة فليس واجبا وإنما هو صدقة، وكما أوجب الله على المضيف إكرام ضيفه أوجب على الضيف أن يراعى شعور المضيف. فليس له أن يقيم عنده أكثر من ثلاثة ايام حتى لا يوقعه فى الحرج ويدلنا على ذلك ما روى عن أبى شريح الكعبى أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم والأخر فليكرم ضيفه جائز به يوم وليلة الضيافة ثلاثة ايام فما بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل أن ينوى عنده – أى يقيم عنده – حتى

يحرجه، وينبغي له أن ينصرف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير لأنه من حسن الخلق والتواضع.

ثالثا : أن يتكلم المؤمن بخير أو يسكت وهو شامل للسكوت عن الحرام والمكروه بل وعن المباح ايضا لأنه لا خير فيه وربما جرا إلى مكروه أو حرام، وعلى تقدير أنه لا يؤدى إليهما ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني.؟ وقد قال رسول الله ﷺ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ما يؤخذ من الحديث

١-الحث على إكرام الجار وعدم الإضرار به.

٢-الحث على إكراما لضيف مدة لا تزيد على ثلاثة ايام إلا إذا لح عليه من أضافه ويعلم ذلك بالقرائن.

٣-الحث على قول الخير والصمت عما لا خير فيه وعدم الخوض فى أعراض الناس. وكثرة القيل والقال. قال رسول الله ﷺ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

٤-أن تكرار الإيمان بالله واليوم الاخر فى هذه الوصايا الثلاث للإشارة إلى أن كلا منهما مقصود لذاته ولتوكيد الحث عليها والتحذير من التفريط فيها.

الإيمان بضع وستون شعبة

عن أبى هريرة رضى الله عن النبى ﷺ قال (الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)

معانى المفردات :

بضع : العدد ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى العشر وقيل من واحد إلى تسعة.وقيل من اثنين إلى عشرة وقوله شعبة أى قطعة. والمراد الخصلة أو الجزء

وقوله الحياء فى اللغة تغيير وإنكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به. وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح.

المعنى العام :

قال القاضى عياض رحمه الله : من المعلوم أن أصل الإيمان فى اللغة التصديق وفى الشرع تصديق القلب واللسان وظواهر الشرع تطلعه على الاعمال كما فى قوله ﷺ "أفضلها لا اله إلا الله) وأخرها إماطة الأذى عن الطريق وأن كمال الإيمان

بالأعمال وتمامه بالطاعات وأن التزام الطاعات وضم هذه الشعب من جملة التصديق فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعى ولا اللغوى هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان.

وأعمال البدن فأعمال القلب فية المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرون خصلة : الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر وما فيه من سؤال القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والجنة والنار ... الخ.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال : التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعلمه والدعاء والذكر والاستغفار واعمال بدن وتشمل على خصال كثيرة منها : التطهير حسا وحكما والجواد ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف وبر الوالدين ... الخ.

فإن قيل الحياء من الغرائز. فكيف جعل شعبة من الإيمان أجيب بأنه قد يكون عزيزة وقد يكون تخلقا ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية وكونه باعثا علي فعل الطاعة وحاجزا عن فعل المعصية فإن قيل لم أفرده بالذكر هنا أجيب بأنه كالداعي إلى باقى الشعب إذا لمس يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر.

ما يؤخذ من الحديث :

١-أن الحياء خصلة من الإيمان.

٢-أن شعب الإيمان تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وعمال البدن.

وفاة أبى طالب وما نزل فيه

عن سعيد بنا لمسيب عن ابيه قال : لما حضرت ابا طالب الوفاة : جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله ﷺ (يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا ابا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله عز وجل **(ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)** وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ **(إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)**

وفى رواية اخرى. فلم يزالا به.

٢- وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمه (قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة) قال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون إنما

حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله **(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)**

معاني المفردات :

(لما حضرت أبا طالب الوفاة) بتقديم المفعول بــه علــى الفــاعل والمراد من حضور الوفاة – قربها – ففيــه مجــاز المشــارفة أو حضور دلائلها وعلامتها ففيه مجاز بالحذف.

(يا عم) عم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة فــهو منصــوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة تخفيفا.

(قل : لا إله إلا الله) كلمة التوحيد كناية عن الشهادتين لأنه لا يثبت حكم الإسلام إلا بها.

(كلمة) منصوبة على البدل من مقول القول. أو على الإختصــاص ويصح رفعها على أنها خبر لمبتدأ محذوف.

(أشهد لك بها) الجملة فى محل النصب أو الرفع : صفة كلمة

(أترغب عن ملة عبد المطلب) الهمزة للإستفهام الإنكارى التوبيخى أى لا ينبغى أن ترغب عن ملة عبد المطلب.

(يعرضها عليه) أى كلمة التوحيد أى يطلب منه النطق بها.

(آخر ما كلمهم) "ما" مصدرية أى آخر تكليمه لهم. أو موصولة أى آخر الذى كلمهم به.

(أما والله لأستغفرن لك) أما حرف تنبيه. وقيل بمعنى حقا. وقيل إن "ما" مزيدة للتوكيد.

(وما لم أنه عنك) "ما" مصدرية زمانية أى لأستغفرن لك مدة عدم نهى عنك.

معنى الحديث :

توفى والد رسول الله ﷺ وهو حمل فى بطن أمه فكفله جده عبد المطلب حتى مات ورسول الله ﷺ فى الثامنة من عمره فكفله عمه أبو طالب وكان فقيرا كثير العيال. فأنزل محمدا منزلة أعز أبنائه لبل كان يصحبه فى اسفاره البعيدة ويترك أولاده خشية أن يشعر فى غيابه بالوحشة ومرارة اليتم وعلمه التجارة ثم زوجه خديجة.

ولما بعث رسول الله ﷺ وقام المشركون يعادونه ويؤذونه وقف أبو طالب يحميه يدافع عنه.

وأرسلت قريش إلى ابى طالب أن يوقف محمدا عن دعوته أو يخلى بينهم وبينه. ولما قال رسول الله ﷺ قولته المشهورة. والله يا

عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، وسانده عمه وشد من أزره وطمأنه على استمرار حمايته بقولته الخالدة : أذهب يا ابن اخى فقل ما سئت وادع من شئت فوالله لا أخذلك ، ولا أسلمك إليهم ابدا..

ورضى أبو طالب أن تعاديه قريش من أجل محمد وقبل الحصار الإقتصادى والمقاطعة الاجتماعية فى شعب بنى طالب ثلاث سنين من أجل محمد.

وما أن نقضت صحيفة المقاطعة. وخرجوا من الشعب حتى مرض أبو طالب مرضه الاخير.فقالت قريش مستهزئة ساخرة أرسل إلى ابن أخيك يرسل إليك من هذه الجنة التى يذكرها دواء يشفيك، فلم يعبأ ابو طالب بهذا الإستهزاء وارسل إلى ابن أخيه يدعوه لجواره فى لحظاته الأخيرة حبا فيه وحنانا عليه. فقدم إليه ﷺ فوجد عنده رأس الشرك ابا جهل وأبن أبى أمية ورأى ﷺ عمه يحتضر وكم كان ﷺ حريصا على الخير له. حريصا على مكافأته على جميله ورد بعض أياديه . وإنها للفرصة الأخيرة. وزمنها ضيق محدود، وإنه ﷺ ليدرك وجود هذين الشيطانين سيضعف وصوله إلى قلب عمه. وحبذا لو لم يكونا فى هذا المجلس، ولكنه

ماذا يفعل؟ الدقائق تمضى واللحظات الحاسمة قريبة. فليتعلق بالامل رغم العقبات وليحاول رغما لصعاب وليبذل غاية مهده من أجل مصير عمه كما ضحى عمه بالكثير من أجله فقال يا عم : إنك أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندى يدا. ولأنت أعظم عندى حقا من والدي فقل كلمة صغيرة : خفيفة على اللسان أشفع لك بها عند ربى يوم القيامة قل لا إله إلا الله محمدا رسول الله أضمن لك بها الجنة.

وخاف الشيطانان أن يلين قلب أبى طالب لابن أخيه وأحسا منه ترددا أو ميلا ، فقالا : يا أبا طالب أترغب عن دين أبيك فى آخر حياتك ، أتترك ملة عبد المطلب. فقال رسول الله ﷺ يا عم قل الكلمة اشهد لك بها عند الله فقال الشيطانان يا ابا طالب أنت فينا من قد علمت. وأنت الرشيد فلا تترك دين ابيك.

فنظر ابو طالب إلى ابن أخيه نظرة اشفاق وقال له : يا بنى أخى لولا أن يكون عار لم أبال أن أفعل فكرر رسول الله ﷺ عرض كلمة التوحيد فكرر الشيطانان الصد عن سبيل الله. فأعاد أبو طالب مقالته : يا بن أخى لولا أن تعير بها. فيقال : جزع عمك وخاف منا لموت فقالها. لقلتها وأقرر بها عنيك.

ولم يزل رسول الله ﷺ يعض عليــه كلمــة التوحيــد، ولا يزالان به يحميانه ويثيران أنفته. حتى كانت آخر كلمة تكلــم بــها قوله هو على ملة عبد المطلب.

فقال ﷺ تطيبا لخاطه .. وفاء لفضله والله لأســتغفرن لــك ربى وأدعوه من أجلك ما حييت ما لم أنه عنك. وانتزعت روحــه من جسده. ثم طمع ﷺ فى فضل الله فاخذ يستغفر لعمه بعد وفاتــه. كما أخذ يستغفر لأمه وابيه فــأنزل الله تعــالى : **(ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم)**

ما يؤخذ من الحديث :

١-صحة اسلام من حضره الموت ما لم يشرع فى النزع.

٢-نسخ جواز الإستغفار للمشركين.

٣-من مات على الشرك فهو فى أصحاب الجحيم.

٤-جواز الحلف من غير استحلاف.

من مات على التوحيد دخل الجنة

عن عثمان قال : قال رسول الله ﷺ (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)

معانى المفردات :

(وهو يعلم) جملة حالية والعلم هو الإدراك الجازم والمقصـود لازم العلم فى النطق بما علم والعمل بموجبه جمعا بين النصوص.

المعنى العام :

المؤمن الكيس من جمع بين الخـوف والرجـاء. يخـاف الخاتمة والمصير وعدل ربه. وحسابه على ما قدمت يداه (وكل ابن ادم خطاء) **(ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يـره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينـها وبينـه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه)**..

ويرجوا رحمة ربه التى وسعت كل شئ ويطمع فى فضلـه وإحسانه وجوده وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بطرف من النصوص التـى تبعث الخوف فى نفوس المؤمنين فتدفع إلى العمل وتقوى العزائـم.

وتشحذ الهمم. يقول جل شـــأنه "فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين يراءون ويمنعون الماعون" "ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون. الا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم" "ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة أنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة" "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون"

ويقول ﷺ أسبغوا الوضوء ، ويل للأعقاب من النار، ومـــر ﷺ على قبرين.

فقال "إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكــان لا يستنزه من البول وأما الاخر فكان يمشى بالنميمة بين الناس"

كما جاءت الشريعة الإسلامية بطرف من النصوص التـــى تنشر الطمع والرجاء فى عفو الله وتجعل أبواب الجنة مفتوحة أمام عامة المؤمنين وابواب النار محجوبة عمن يشهد أن لا إلـــه إلا الله

وأن محمداً رسول الله "يقول جل شأنه" **(قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)**

ويقول جل شأنه فى الحديث القدسى **"عبدى لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"**

يقول ﷺ (يا معاذ بشر الناس أنه من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) وعنى ابى ذر قال : قال رسول الله ﷺ (أتانى آت فمن ربى فاخبرنى أو قال بشرنى – أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة . فقلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق . قلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق . قلت وإن زنى وإن سرق قال : وإن زنى وإن سرق رغم أنف ابى ذر" كما جاءت الشريعة الإسلامية بطرف من النصوص التى تجمع بين الخوف والرجاء. يقول سبحانه وتعالى فى صفة المؤمن الحق **"يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه"** ويقول سبحانه **"غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير"** وبهذا رسم الإسلام الطريق الصحيح. خوف يجعل السابقين لا يأمنون العاقبة. ويدفع عمر بن الخطاب وهو المبشر بالجنة

وقصورها وحورها إلى أن يقول الذى نادى مناد أن كل الناس يدخلون الجنة إلا واحد لخشيت أن أكون أنا ذلك الواحدة ويدفع ابا بكر (حبيب حبيب الله) إلى أن يقول لا آمن مكر الله لو كانت إحدى قدمى فى الجنة.

ورجاء يجعل العاصى الذى لم يعمل خيرا قط من أهل الجنة لمجرد أنه خرج من بلد المعصية قاصدا بدال الطعاة. فمات فى وسط الطريق فكان أقرب إلى بلد الطاعة منه بلد المعصية بشبر واحد. نعم الطريق الصحيح خوف ورجاء وعمل وأمل. فمن إقتصر على الخوف وانكر الرجاء كان قانطا مكن رحمة الله يائسا من روح الله **"إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"**

ومن اقتصر على الرجاء وطرح الخوف من الله وحسابه كان جاهلا مغترا. مستهترا بوعيد الله. وما أحسن جواب وهب بن منبة حين قيل له : أليس مفتاح الجنة. لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان. فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك. وما اسنانا لمفتاخ إلا العمل مع الإيمان.

جعلنا الله من المؤمنين العاملين الراجين الخائفين. انه سميع قريب مجيب الدعاء رب العالمين.

<u>ما يؤخذ من الحديث :</u>

١-أن أصحاب الكبائر من المؤمنين لا يخلدون في النار.

٢-أن كل الموحدين يدخلون الجنة.

٣-أن غير الموحدين لا يدخلون الجنة.

من شهد أن لا إله إلا الله حرم الله عليه النار

١-عن عباده بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبد ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته القاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء) وفى رواية (ادخله الله الجنة على ما كان من عمل) ولم يذكر (من أى ابوب الجنة الثمانية شاء)

٢-وعن الصنابحى عن عبادة بن الصامت انه قال دخلت عليه وهو فى الموت. فبكيت. فقال : مهلا لم تبكى؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك. . ولئن استطعت لأنفعنك. ثم قال : والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلى حدثتكموه حديثا.ولحد وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسه.

سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار)

معانى المفردات :

(وحده) منصوب على الحال بعد تأويلـــه بمشـــتق أى متوحـــدا أو متفردا. وقد وقعت حالا مع كونها معرفة بإضافتها إلى الضمير من قبيل المسموع الذى لا يقاس عليه.

(لا شريك له) حال أخرى وهى فى معنى الحال الاولـــى فتكـــون مؤكدة لها.

(وأن عيسى عبد الله وابن أمته) عطف على ما قبله من عطـــف الخاص بعد العام لمزيد اعتناء به.

(وكلمته) سمى عيسى كلمة لأنه كان بكلمة "كن" فحسب من غـــير أب بخلاف غيره من بنى آدم.

(وروح منه) أى رحمة من الله. أو المقصود من الروح مـــا بـــه الحياة.

(وأن الجنة حق وأن النار حق) الحق كل موجود متحقق. وكل مـــا سيوجد لا محالة.

(شاء) الفاعل يعود على من شهد أن لا إله إلا الله ولا يصبح عوده على الله. لأنه لا يكون لذكره فائدة فكل إنسان يدخل من الباب الذى يشاؤه الله

(على ما كان من عمل) يريد (وإن قبح) أو (وإن قل)

(وهو في الموت) في الكلام مضاف محذوف أي في مرض الموت ومقدماته والجملة حال.

(مهلا) بإسكان الهاء بمعنى مهل. يقال بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع.

(لم تبكي) الإستفهام إنكاري بمعنى لا ينبغي أن تبكي

المعنى العام :

مرض عبادة بن الصامت مرضه الاخير وهو الصحابي المعروف. كان أحد النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة. وشهدوا بدرا والمشاهد كلها وقد أرسله عمر إلى الشام ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ومرض مرضه الاخير ببيت المقدس سنة خمسة واربعين هجرية. وذهب لعيادته التابعي الجليل عبد الله الصنابحي فوجده في شدة الموت وكربه متذكرا أمر القدوم على الله، وفكر الصنابحي في اليوم الذي سينام فيه نومة عبادة وفي انقطاع عمله وإقباله على ربه ليس معه إلا ما قدمت يداه من عمله فبكى.

عندئذ أحس عباده أن الخوف قد استولى على الصنابحي وانه يحتاج إلى دفعات من الرجاء ليحفظ توازنه ويعود إليه

اطمئنانه لعفو ربه. فقال له وهو يبتسم ابتسامة ...
المؤمل في فضله، لم تبكي ورحمة الله وسعت ...
عنك إلا إيمانا راسخا. وعملا صالحا والله لئــن ...
لشهدت لك بالخير ولئن أذن لي بالشفاعة لأحد لشفعت ...
أوتيت استطاعة نفع لنفعتك.

طب نفسا وقر عينا يا صنابحي ، فسأحدثك بحديث سمعته
من رسول الله ﷺ يفتح باب الأمل للمؤمن على مصراعيه ويمـــلأ
قلبه اطمئنانا لفضل الله.

لم أحدث قبل اليوم خشية اتكال الناس وتقاعس ... عن
التنافس في العمل الصالح أما وقد قربت ساعتي ودنت منيتي ...
من الواجب على أن أودي الأمانة وأبلغ ما تحملت وما كتمت ...
حديثا سمعته لكم فيه خير ومصلحة سوى هذا الحديث ...
به.

سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قال أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ... من
يخالف دين الإسلام وتبرأ من قول النصارى المسيح ابن الله، ...
بأن عيسى عبد الله وابن مريم أمة الله وتبرأ من اتهام اليهود لمريـم
وعيسى فشهد بأنه كان بكلمة كن وأنه نفخ فيه الــروح بـــدون أب

وتبرأ ممن ينكرون حساب الآخرة نأقر بأن الجنة حق ثـــابت وان النار حق كائن.

من شهد بهذا واقر به حرم الله عليه النار وأدخلـــه الجنـــة مهما قصر من عمله وفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من ايها شاء.

ما يؤخذ من الحديث :

في الحديث دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة مما لا يحتمله عقل كل واحد. وذلك فيما ليس تحته عمل ولا فيه حد من حدود الشريعة قال : ومثل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم كثير في ترك التحديث بما ليس تحته عمل ولا تدعوا إليه ضرورة أو لا تحتمله عقول العامة أو تخش مضرته على قائلة أو سامعه لاسيما ما يتعلق بأخبار المنافقين والإمارة وتعيين قوم وصفوا بأوصاف غير مستحسنة وذم آخرين ولعنهم.

حق الله على العباد وحق العباد على الله

قال مسلم حدثنا هداب بن خالد الأزدي حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني إلا مؤخرة الرحل. فقال : (يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال ، يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ثم قال ، يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال ، هل تدري ما حق الله على العباد. قال ، قلت . الله ورسوله أعلم ، قال ، فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال ، ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قال قلت ، الله ورسوله أعلم قال لا يعذبهم.

وفي رواية عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير قال : فقال ، يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قال قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله عز وجل

أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا قال ، قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال ، لا تبشرهم فيتكلوا.

ترجمة راوى الحديث :

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب ابن عمرو بن جشم الخزرج الأنصارى الخزرجي أبو عبد الرحمن المدنى أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وشهد بدرا والمشاهد كلها له مائة وسبعة وخمسون حديثا. اتفق البخارى ومسلم على حديثين وانفردا لبخارى بثلاثة ومسلم بحديث.

روى عن ابن عباس وابن عمر ومن التابعين عمرو بن ميمون ,ابو مسلم الخولانى ومسروق وكان ممن جمع القرآن قال النبى ﷺ يأتى معاذ يوم القيامة أمام العلماء وقال بان مسعود كنا نشبهه بابراهيم عليه السلام وكان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين توفى فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة قبر ببيسان فى شرقية عن ثلاث وثلاثين سنة.

معانى المفردات :

(كنت ردف النبى ﷺ ليس بينى وبينه إلا مؤخر الرحل) ردف بكسر الراء وإسكان الدال هذه هى الرواية المشهورة للحديث وقد

روى أبو على الطبرى أحد رواة الجامع الصحيح لمسلم ضبط هذا اللفظ بفتح الراء وكسر الدال (رَدِف)

والردف والرديف هو الراكب خلف الراكب وأصل الكلمة من ركوبه على الردف وهو العجز.

والفعل ردف وارتدف بمعنى واحد ويقال أردفته حملته على درف الفرس والردف التابع، والترادف التتابع.

(ليس بينى وبينه إلى مؤخرة الرحل) اراد بهذه العبارة المبالغة فى شدة قربه من النبى ﷺ ليكون أوقع فى نفس سامعة لكونه أضبط للرواية وتأكد السماع. وأما مؤخرة الرحل فبضم الميم بعده همزه ساكنة ثم خاء مكسورة هذا هو الصحيح فى ضبط الكلمة. وفيها لغة أخرى مؤخرة بفتح الهمزة والخاء المشددة ويقال آخره بهمزة ممدودة وهذه افصح واشهر.

وقد جمع أحد علماء اللغة فى قاومتى الرحل. ست لغات مقدم ومقدمة بكسر الدال مخففة، ومقدم ومقدمة بفتح الدال المشددة وقادم وقادمة وهذه اللغات كلها فى آخرة لرحل وهى العود الذى يكون خلف الراكب. والرحل مركب البعير كالراحول ويجمع على أرحل ورحال وتطلق الرحال على المنازل. فى الحديث.

(**إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال**) يعنى الدور والمساكن والمنازل وجمع رحل يقال لمسكن الانسان ومنزله رحلة وانتهينا إلى رحالنا أى منازلنا ولها معان أخر.

فى الحديث (**تجدون الناس كابل مائة ليس فيها راحلة**) الراحلة من الإبل البعير القوى على الأسفار والاحمال والذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيها للمبالغة وإذا كان الرحل للبعير وهو الكور فإن السرج للفرس.

ويجوز فى معاذ وجهان عند أهل العربية أشهرها وارجحها فتح ذال معاذ والثانى ضمه.

(**وفى لبيك وسعديك**) عدة أقوال منها إجابة لك بعد إجابة للتأكيد ، وقيل معناه قربا منك وطاعة لك وقيل أنا مقيم على طاعتك وقيل محبتى لك. وورد فى النهاية فى معنى التلبية وإعرابها لبيك فى التلبية وهى إجابة المنادى أى إجابتى لك يا رب ، ويا رسول الله، وهو مأخوذ من لب بالمكان، ,الب به أيضا إذا أقام به ,الب على كذا إلا لم يفارقه ولم يستعمل إلا على لفظ التثنية فى معنى التكرير أى اجابة بعد اجابة. وهو منصوب على المصدر بعامل لا يظهر كأنك قلت ألب البابا بعد الباب والتلبية من لبيك كالتهليل من لا إله إلا الله، وقيل إتجاهى وقصدى يارب إليك. من قولهم دارى قلب

دارك أى إذا كان خالصا محصنا ومنه لب الطعام ولبابه. ويدخل في معنى هذه اللفظة أنا أطيعك وأتصرف بإرادتك واكون كالشئ الذى تصرفه كيف تشاء. وأما سعديك فمعناه ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وإسعادا بعد إسعاد ولهذا أثنى وهو من المصادر المنصوبة بفعل لا يظهر في الاستعمال.

ولذا قالوا لم يسمع سعديك مفردا.

وعليه فمعنى لبيك وسعديك أى سعادا بعد إسعاد يعنى سعادتى مستمرة لك وإسعادى حاصل ومتكرر لك دائما.

وأما تكرير النبى ﷺ نداء معاذ رضى الله عنه فلتأكيد الإهتمام بما يخبره ويلقيه إليه ولنيكمل تنبه معاذ فيما يسمعه وليكون لى أكمل وجوه الاخذ منه والتلقى وعنه وليعده للمهمة التى يحملها عنه إلى من بعده وقد ثبت فى الصحيح أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لهذا المعنى وليستقر العلم المبلغ فى ذهنه.

المعنى العام للحديث :

بدأ النبى ﷺ فى بيان الحديث بقوله هل تدرى ما حق الله على العباد وهل تدرى ما حق العباد على الله تعالى بدا الكلام بالإستفهام من معاذ وهل هو يعرف حق الله على عباده وحق عباده

عليه. ففوض معاذ علم ذلك إلى الله ورسوله وهذا من أدب أصحابه معه وأنهم يتعلمون منه ولا يقدمون اقوالهم على أقواله.

وهنا يقال : اعلم أنا لحق كل موج متحقق أو ما سيوجد لا محالة والله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الازلى الباقى الأبدى والموت والساعة والجنة والنار حق لأنها واقعة لا محالة وإذا قيل للكلام الصدق حق فمعناه أن الشى المخبر عنه بذلك الخبر واقع متحقق الوقوع لا تردد فيه ومثل ذلك الحق المستحق على العبد من غيره أن يكون فيه تردد وتحير. فحق الله تعالى على العباد معناء ما يستحق عليهم ويتحتم عليهم الوفاء به وحق العباد على الله تعالى معناه أنه متحقق لا محالة.

وقال بعض العلماء : إنما قال حقهم على الله على جهة المقابلة لحقه عليهم ويجوز أن يكون نمن نحو قول الرجل لصاحبه حقك واجب على أى متأكد قياس به. ومن هذا المعنى قول النبى ﷺ حق على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة ايام وأما قوله فى الحديث (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) أما العبادة فهى الطاعة مع خضوع ويدخل فى هذا المعنى معرفة الله والإقرار بوحدانيته أما النهى عن الشرك وذكره بعد العبادة لأن الكفار كانوا يعبدونه

سبحانه وتعالى فى الصورة ويعبدون [illegible] يزعمون أنها شركاء فنفى هذا أو نهى عنه.

ثم عاد النبى ﷺ ونادى معاذا للمرة الرابعة بعدما سار أو قطعا مسافة ومر زمن فنبهه ليستعد لاستقبال ما يلقيه إليه من البيان والعلم وانتقل به لى نوع آخر مقابل للمعنى الأول وهو حق العباد على الله قال ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ بن جبل قلت لبيك رسول الله وسعديك قال هل تدرى ما حق الله على العباد إن هم فعلوا ذلك قال : قلت الله ورسوله اعلم . قال أن لا يعذبهم – هذا هو الجزاء والجزاء من جنس العمل, وقد كافأهم الله برفع العذاب عنهم نظير عبادتهم لله وعدم الشرك به.

والحديث رواه مسلم من طريق آخر بسنده عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير قال فقال (يا معاذ تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قال قلت : الله ورسوله أعلم. قال فإن حق الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قال : قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا) ويلاحظ فى هذه الرواية أن فيها اختصار حيث لم يذكر الحوار الذى دار بين النبى ﷺ ومعاذ كما فى الراوية الأولى

من النداء والاجابة والتكرار. وفى هذه الرواية جاء بيان الدابة التى كان معاذا رديف النبى ﷺ وهى حمار يقال له عفير بعين مهملــــة مضمومة فاء مفتوحة هذا هو الصواب فى الرواية فى ضبط الكلمة وهو الحمار الذى كان له ﷺ قيل أنه مات فى حجة الوداع.

وفى غريب الحديث أن اسم حمار النبى ﷺ عفــــير وهــو تصغير ترخيم لأعفر من العفرة. وهى الغبرة ولون الــتراب كمــا قالوا فى تصغير أسود أسود سويد وتصغيره غير مرخــم أعيفــر كأسيود وروى ابن سعد بسنده قال : كانت دلدل بغلة النبــى ﷺ أول بغلة رئيت فى الإسلام وأهداها المقوقس وأهدى معها حمارا يقــال له عفير فكانت البغلة قد بقيت حتى زمن معاوية.

ونعود إلى شرح الحديث الذى معنا فنقــول هــذا الحديــث

[illegible]

اخرى غير المرة المتقدمة فى الحديث السابق فإن مؤخرة الرحـــل تختص بالإبل ولا يكون على حمار لأنه تخفض بالبردعة.

وجمع النووى بينهما فقال يحتمل أن يكون قضيــــة واحـــدة واراد بالحديث الاول قدر مؤخرة الرحل.

ومن الفروق بين الحديثين أنه قال فى هذا الحديث فقال يـــا معاذ مفردا بدون ذكر الأب تدرى ما حق الله على العباد وما حـــق

العباد على الله [illegible] بينهما من غير فصل [illegible] ورسوله أعلم قال [illegible] حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا [illegible] التصريح بلفظ الجلالة (الله) لتربية المهابة والخشية منه [illegible] بالتصريح ثم قال وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قال معاذ قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس بهذا الفضل من الله قال : لا تبشرهم فيتكلوا وورد في الحديث أنه رضي عن الموكلة وهي صيغة من الإتكال في الامور ومنه الإتكال على الغير.

وجاء في مفردات غريب القرآن في وكل التوكيل : أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك والتوكل على وجهين يقال توكلت لفلان بمعنى توليت له. ويقال وكلته فتوكل لي : وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته وواكل فلان إذا ضيع أمره متكلا على غيره. وتواكل القوم إذا اتكل على الاخر. والمراد أن النبي ﷺ أراد مداومة العمل والجد في الطاعة لزيادة الإيمان وتحصيل الأجر العظيم.

ما يؤخذ من الحديث :

تواضع النبى ﷺ مع علو قدره ليقتدى به أصحابه فى هـــذا الخلق الرفيع وإردافه معاذ وغيره خلفه على الدابة ســواء كــانت فرسا أو حمارا وبذلك يزدادوا منه قربا ومحبة ، ومن ثـــم لتفــوا حوله وأيدوه ونصروه عن طواعية ورضا.

وفيه نداء الراكب خلفه عدة مرات لينبهه ويعده لإستقبال ما يريد إبلاغة وليفرغه لحفظ ما يقوله. وهذه من أسمى طرق التربية بإعداد ذهن المتعلم لئلا يذهب منه شئ ونداء المتعلم باسمه وإســم الأب لإرضائه. وتأكيد المراد وفى الحديث الإهتمام بترسيخ العقيدة ببيان ما يجب على المسلم أن يعلمه من الله حق عليه من إخــلاص النية والتصديق بالقلب وأن يظهر أثر ذلك بالخضوع والإنقياد لـــه سبحانه والذلة له جلا وعلا.

وفى الحديث : ما كان عليه الصحابـــة مــن حــب نبيــهم ﷺ وتعظيمه فى كل الاحوال وإن إجلاله ثابت فى قلوبهم وقد ظهر ذلك فى قول معاذ فى إجابته لبيك وسعديك وتقدم معناهما. وقد حدث ذلك مـــع أبى ذر وغيرهما.

التبشير بالجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله

عن ابى هريرة قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ ومعنا ابو بكر وعمر فى نفر. فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع. فخرجت أبتغى رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطا للانصار لبنى النجار فدرت به هل أجد له بابا؟ فلم أجد فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجه – والربيع الجدول – فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال ابو هريرة ؟ فقلت : نعم يا رسول الله. قال ما شأنك قلت امنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاختفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائى.

فقال يا أبا هريرة – وأعطانى نعليه قال : (اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط، يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت هاتين نعلا رسول الله ﷺ بعثنى بهما، من لقيت يشهد

أن لا إله إلى الله مستقينا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديى فخررت لاسنى

فقال ارجع يا ابا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجشت بكاء وركبنى عمر فإذا هو على اثرى فقال لى رسول الله ﷺ مالك يا أبا هريرة؟ قلت لقيت عمر، فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربة خررت لاسى ، فقال ارجع فقال له رسول الله ﷺ يا عمر ما حملك على ما فعلت قال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ابعثت ابا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه بشره بالجنة. قال نعم قالا فلا تفعل فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم.

معانى المفردات :

(كنا قعودا) خبر كان مصدر مؤول بمشتق أى قاعدين حول النبى ﷺ أى على جوانبه.

(فى نفر) متعلق بمحذوف حال. والنفر فى الأصل القوم ينفرون معك إذا حزبك أحر ثم أطلق على كل جماعة دون العشرة من الرجال وجمعه أنفار.

(وخشينا أن يقتطع دوننا) يقتطع بالبناء للمجهول أى يختطف أو يصاب بمكروه من أعداء الإسلام.

(وفزعنا) الفزع بمعنى الروع وقيل بمعنى الهبوب للشئ والإهتمام به. وقيل بمعنى الإغاثة وهذه المعانى كلها تفتح هنا.

(ابتغى) أى أبحث عنه ﷺ والجملة حال.

(حتى أتيت حائطا) أى بستانا وسمى بذلك لأنه كان يحاط غالبا بحائط لا سقف له.

(فإذا ربيع) هو النهر الصغير.

(من بئر خارجه) قال بعضهم : روى على ثلاثة أوجه أحدها : بالتنوين فى بئر. وفى خارجه على أن خارجه صفة لبئر.

الثانى : من بئر خارجه بتنوين بئر وبهاء فى آخر خارجه وهى ضمير الحائط، أى البئر فى موضع خارج عن الحائط. وخارج منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف صفة لبئر

الثالث : مكن بئر خارجه بإضافة بئر إلى خارجه وهم اسم رجل والوجه الأول هو المشهور.

(فاحتفزت) تضاممت ليسعنى المدخل.

(مستقيما بها قلبه) ، ذكر القلب للتأكيد ونفى توهم المجاز وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب.

(فضرب بيده بين ثدبى) مفعول ضرب محذوف وبين ظرف مكان أو الباء زائدة، ويده مفعول أى دفع عمر يده بين ثدبى، وثدبى تثنية ثدى لفظ منكر وقد يؤنث فى لغة قليلة.

(فخررت لاستى) است بألف وصل، وهم اسم من أسماء الدبر وقد يطلق على العجز كما يطلق على حلقة الدبر ومقصوده أنه سقط على الأرض جالسا على غليته وعجيزته.

(فأجهشت) بكاء يقال : جهش جهشا، وأجهش إجهاشا : وهو أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو متغير الوجه متهئ للبكاء. ولما يبك بعد ولفظ بكاء مفعول لأجله وفى رواية للبكاء وهو بهمزة المد وقد يقصر.

(وركبنى عمر) أى تبعنى ومشى خلفى.

(بأبى أنت وأمى) خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والتقدير أنت مقدر بأبى وأمى وليست العبارة على حقيقتها فإنها تقال ممن مات أبوه وأمه. وإنما المقصود منها المبالغة فى الحنان والبر الذى يفوق ما بين الولد ,ابويه حتى كأنه يضحى بهما من أجله.

(ابعثت ابا هريرة) الإستفهام حقيقى للتأكد من كلام أبى هريرة.

(فلا تفعل) الفاء نصيحة فى جواب شرط مقدر أى إذا كان قد حصل هذا القول فلا تتبعه بالفعل.

(فخلهم يعملون) جملة يعملون فى محل النصب على الحال.

المعنى العام للحديث :

مثل رائع من أمثلة حب الصحابة لرسول الله ﷺ وحرصهم عليه ومثل أكثر روعة من أمثلة وفاء النبى ﷺ لأصحابه ومكافأته لهم على حسن صنيعهم. وذلك ما يحدثنا به أبو هريرة الصحابى الجليل. الذى لازم رسول الله ﷺ أكثر اوقاته منذ اسلم - رضى الله عنه - حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الاعلى يقول

كنا قعودا فى مجلس رسول الله ﷺ وكنا جمعا كثيرا من الصحابة على رأسنا أبو بكر وعمر وكنا نحيط برسول الله ﷺ حبا فيه وحرصا على ما ينطق به من تعاليم الإسلام وآدابه. إحاطة الهالة بالقمر فقام ﷺ من بيننا وبقينا على وضعنا فى انتظاره ظانين أنه خرج لقضاء حاجة سريعة وسيعود فقد كان شأنه ﷺ إذا قام منصرفا اشعرنا بانصرافه فيصحبه بعضنا إلى حيث يريد - إن أذن - وينصرف البعض الاخر إلى عمله.

وقوى هذا الظن أنه ﷺ لم يتجه إلى البيوت ولكن نحو البساتين القريبة من مجلسنا وطال انتظارنا لرسول الله ﷺ وأصبح الزمن يمضى بطيئا ثقيلا ونظر بعضنا إلى بعض نظرات القلق

والإضطراب لتأخره ﷺ على غير عادته وساورتنا الهواجس والأوهام، اليهود بالمدينة وحولها يتربصون به ﷺ ، والمنافقون يحقدون عليه ويدبرون له المكايد. والكفار يمكرون به ليقتلوه، وقد خرج ﷺ وحده، وإلى مكان موحش. فماذا نحن فاعلون واستبد بنا الخوف عليه ﷺ ونفد الصبر واستولى علينا الفزع ، يقول أبو هريرة وكنت أكثرهم فزعا وأولهم تحركا وهب الجميع للبحث عنه ﷺ بين المزارع والحدائق التى اتجه نحوها. وكان يقام على كل منها حائط مرتفع لا يسهل ارتقاؤه ليمنع السائبة منا الفساد في الحرث.

ودار أبو هريرة حول بستان لبنى الثمار غلب على ظنه أنه الذى اتجه إليه ﷺ ، ولكنه لعجلته واضطرابه لم يعثر على بابه. أو لم يعثر على باب مفتوح ورأى ثقبا فى اسفل الحائط تمر فيه قناة تنقل الماء إلى البستان من بئر خارجه.

فأنكمش ابو هريرة وضم أعضاءه كما ينكمش [illegible] الثعلب عند ولوجه جحرا ضيقا ودخل البستان من ثقب الحائط. فوجد رسول الله ﷺ داخله فلما أحس به ﷺ قال : من : أبو هريرة؟ فقال نعم أنا أبو هريرة يا رسول الله ﷺ قال : ما شأنك ؟ وما الذي جاء بك من هذه الجهة وبهذه الحالة؟ قال كنت بيننا يا رسول الله

فقمت فجأة فانتظرناك فأبطأت علينا فخشينا عليك من أعداء الإسلام ففزع الجميع وكنت أول من فزع فأتيت هذا البستان فلم أعثر علـى بابه فتحايلت على الدخول من الجدول ضيق الثقب كمـــا يتحـــايل الثعلب والناس ورائى حول هذا البستان يبحثون عنك ولحس ﷺ أن الإيمان قد ملأ قلوب هذه الجماعة من اصحابه وأنه ﷺ قد اصبـــح أحب إليهم من أنفسهم التى بين جنوبهم وليس بمثل هؤلاء جزاء إلا الجنة ومكافأتهم العاجلة على هذا الصنيع الحميد. أن يبشروا بـــها لتطمئن قلوبهم التى فزعت على رسول الله ﷺ "جزاء وفاقا"

فقال يا ابا هريرة اذهب إلى القوم فهدئ من روعهم وأعد الطمأنينة إلى نفوسهم وخذ نعلى هاتين علامة على لقياك لى. وبشر كل مـــن لقيته وراء هذا الحائط يبحث عنى. وهو يشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأنى رسول الله شهادة خالصة نابعة من تمكن الإيمان قلبه – بشره أنه من أهل الجنة.

وخرج أبو هريرة مزحا مسرورا ليؤدى الرسالة فكـــان اول رجل يلقاه عمر بن الخطاب – وأبو هريرة يتهيبه كما يتهيبه كثـــير من الصحابة لشدته فلم يشأ أن يلقى اليه الخبر إلقاء بل رغب فـــى أن يكون مفتتح الكلام عمر فأبرز نعلى رسول الله ﷺ. فقال عمـــر ما هاتان النعلان يا ابا هريرة فقال لقد لقيت رســـول الله ﷺ بـــهذا

البستان، وهاتان نعلاه وهو على خير ما نحب له. بعثنى بها لأبشر بالجنة كل من لقيت وراء هذا البستان ممن يشهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمدا رسول الله شهادة خالصة نابعة من صميم قلبه. وخــاف عمر من عاقبة هذه البشرى على صالح صفوة المسلمين ومنزلتــهم عند الله واراد أن يمنع أبا هريرة من التبشير حتى يراجــع بشــأنه رسول الله ﷺ واراد أن يشتد فى المنع خشية أن يستهتر أبو هريــرة بطلبه أمام أمر سول الله ﷺ. فدفعه فى صدره وهو يقول له لا تفعل يا أبا هريرة. وارجع أمامى إلى رسول الله ﷺ.

ولم يتحمل أبو هريرة دفعة عمر الشديدة بدون قصد فســقط على الأرض ووقع على عجزه. ثم قام تخنقه العبرات وسار إلــى رسول الله ﷺ وعمر يمشى ورائه فقال له رسول الله ﷺ ما لك يا أبا هريرة فشكا له ما لقى من عمر. فنظر ﷺ إلى عمر وقال لــه مــا حملك على ما فعلت يا عمر.

فقال يا رسول الله أفديك بأبى وأمى. هل بعثت ابا هريــرة بنعليك يبشر بالجنة من لقى وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مطمئنا بها قلبه. قال نعم قال عمر لا تفعل هذا يا رسول الله فــإنى أخشى أن يتكل الناس على هذه البشرى فلا يتسابقوا إلى الخــيرات خليهم يعملون يا رسول الله.

وأمام وجهة نظر عمر وخشيته من التقاعس عـــن عمـل الخير وعن التنافس فى الطاعات رأى رسول الله ﷺ تـــأجيل هـــذه البشرى فقال فخلهم يعملوا ﷺ ورضى عن عمر ,ابى هريرة وعـــن الصحابة أجمعين.

ما يؤخذ من الحديث :

١-جلوس العالم لأصحابه يعلمهم ويفيدهم.

٢-حسن الإخبار إذا أريد الإخبار عن جماعة كثيرة يصعب ذكرهم بأسمائهم فإنه يذكر أشرافهم أو بعض اشرافهم على أنهم بعض الجماعة.

٣-ما كانت عليه الصحابة رضى الله عنهم من القيام بحقوق رسول الله ﷺ وإكرامه والشفقة عليه والإنزعاج البالغ لغيبته المجهولة.

٤-اهتمام الاتباع بحقوق متبوعيهم والإعتناء بتحصيل مصالحه ودفع المفاسد عنه.

٥-إرسال الإمام والمتبوع إلى أتباعه بعلامة يعرفونها ليزداد بها طمأنينة.

٦-جواز التعبير بألفاظ مستهجنة كلفظ الإست والاحسن فيما يقبح سماعه استعمال الكناية عنه أو المجاز إلا أن يكون في التصريح مصلحة راجحة.

٧-وقف بعد الأتباع أمر المتبوع مؤقتا حتى يعرضوا عليه ما رأوا.

٨-رجوع الإمام عما رآه إذا ظهرت المصلحة في غيره.

٩-إمساك بعض العلوم التي لا حاجة إليها للمصلحة أو خوف المفسدة.

١٠- فيه منقبة لعمر بن الخطاب وفضيلة لأبي هريرة رضي الله عنهما.

فهرس الكتاب